الفصل الأول

شعر المناسبات الدينية فى
"النصف الأول من القرن العشرين"

المبحث الأول

مفهوم شعر المناسبات ودلالته

الشعر نبض الحياة ، وترجمان العواطف والأحاسيس والمشاعر ، و "الشعر هو الذى يعبر عما انطوت عليه النفس من عواطف وآمال وآلام ، وما يسبح فيها من المعانى الحائرة ، وما تشق عبابه من الذخائر المعنوية المتلاطمة المتموجة فى هذا الكون ، وهو الذى يجلى لنا ما فى الحياة من أسرار ، وما كمن فى طياتها من آيات للخالق"[1] .

والشاعر لا ينطق بالشعر إلا عندما يشعر بنفسه ، وبما يحيط به من طبيعة وكون زاخرين بالجمال والجلال ، ومملوءين بالأحداث والمناسبات التى تلح عليه ، وتدفعه إلى نظم الشعر والنطق به .

لذا نراه يحدثنا عن مشاعره الخاصة ، ويعبر عن ميوله ونوازعه ، ويحكى لنا عن تطلعاته وآماله ، وما يعتمل داخل نفسه من سخط أو قبول ، مما يجعل الأدب – بحق – مرآة صادقة ناصعة تنعكس عليها حياة أهله ، وما تأثروا به من أحداث عامة ، وظروف خاصة .

وإذا كان موضوع دراستنا هذه ، يتصل بالأدب المصرى فى العصر الحديث ، فإنه ينبغى أن ندرك ، أن هذه الفترة ، كانت فترة غليان واضطراب فى أركان الدولة ، فمنذ دخول الحملة الفرنسية أرض الوطن فى عام ١٧٩٨م ، وحتى عام ١٩٥٦م وهو العام الذى نالت فيه مصر حريتها واستقلالها ، والثورات لم تهدأ ، والنيران لم تنطفئ ، والأحزاب فى حالة من الخلاف والشقاق .

---

١ . صفحات من الأدب المصرى ، د. عبد الحميد حسن ، ط دار الفكر العربى الأولى/ ١٦٦ .

وقد كان للشعر دوره فى كل هذه الأحداث والصراعات ، فهو الذى مهد الطريق للثورات ، وأشعل نيرانها ، وانصهر انصهاراً فى أرض المعارك الدامية ، متأثراً بالحياة ، وما كانت تموج به من حركة واضطراب ، معبراً عن كل ذلك بشعر صادق رسم ملامح الحياة والأحياء فى كل مرحلة من المراحل .

لهذا يحق لنا أن نقول : إن الأدب بعامة ، والشعر بخاصة ، كانت ومازالت له صلة قوية بالحياة ، فقد مثل حياة الأمم والشعوب فى الأجيال المتعاقبة تمثيلاً دقيقاً ورسم لنا ملامح الأجيال المتلاحقة بكل دقة وأمانة ، بل إنه جاوز ذلك كله ، فحدثنا عن هواجس النفوس ، وأسرار القلوب ساعة الرضا والغضب ، وساعة الإقبال والإدبار ، وساعة الأمن والخوف ، فحقاً إن الشعر هو ديوان العرب ، الذى جمع فأوعى ، "فلاغرو إذن أن يتخذه اللابس جمالاً ، والمدخر مالاً ، وأن يصير قرطة الآذان، وقلائد الأعناق ، وأمالى النفوس ، وأكاليل الرؤس"[1] .

ونحن عندما ننظر إلى بداية القرن العشرين ، نجد أنه كان نهضة كبرى للوطن فى مختلف المجالات وشتى الميادين ، وأن الشعراء قد خاضوا بأشعارهم معركة النضال ، وجالدوا فى كل الميادين ، وأبلوا أحسن البلاء ، وكانوا من أهم أجهزة المقاومة ، وأمضى أسلحة النضال الذى خاضته مصر ضد الاحتلال ، حيث تناولوا بأشعارهم كل ما عن لهم ، وكل ما وقع ويقع لوطنهم من أحداث ، فى شعر يبعث الحماس والحمية فى نفوس الشعب ، فكانوا بحق هم حداة المسيرة .

١ . العمدة ، ابن رشيق القيروانى ، ط دار الجيل ، جـ١/ ٢٠ ، بتصرف يسير .

وحين تشبعت روح هذه الفترة بتلك الأحداث ، وتناولها الشعراء بشعرهم ، حلا لبعض النقاد أن يصم الشعر فى العصر الحديث ، بأنه غلبت عليه دوافع المناسبات، وأنه شعر مفتعل لا عاطفة فيه للشاعر ، ولا أهمية له بالنسبة للمجتمع[1] .

وقد حان الوقت أن نقف وقفة حول مفهوم شعر المناسبات عند مختلف النقاد ، محاولين إلقاء الضوء عليه ، وعلى الميادين التى ولجها ، وعلى مقصد الشاعر من النظم فى هذا اللون الأدبى .

ولنبدأ ببيان مفهومه عند الديوانيين ، وعلى رأسهم : العقاد ، والمازنى ، وشكرى ، وهؤلاء يرون أن شعر المناسبات الاجتماعية يعنى به : شعر الحوادث اليومية ، مثل : افتتاح خزان أو بناء مدرسة ، أو حملة جراد ، أو حريق ، أو زيارة ملك ، أو حفلة فى ناد للألعاب ، أو مجئ طيار .

ونلحظ على المفهوم السابق : أن الديوانيين قد حددوا لشعر المناسبات بعض الحوادث اليومية العادية ، والتى غالباً ما تخلو من حرارة العاطفة ، وصدق الشعور، إذن فليست كل المناسبات مرفوضة من وجهة نظرهم .

ويشير الدكتور/ على الجندى – وهو من المحافظين – إلى مفهوم شعر المناسبات فيقول : إن شعر المناسبات هو ذلك الشعر الذى ينظم بهذه الروح التى يغنى بها الشاعر آلامه النفسية من الأعماق[2] .

---

١ . راجع : شعر المناسبات فى العصر الحديث بمصر ، د. سالم عواد حشيش (رسالة دكتوراة سنة ١٩٩٢م) ص ١ ، ٢.
٢ . راجع : مقدمة "ألحان الأصيل" ، ص ٨ ، ط دار الفكر العربى سنة ١٩٥٠م .

فشعر المناسبات عنده معاناة وامتزاج لنفس الشاعر بأحداث الحياة ، واستيعاب لها ، حتى إذا ما عبر الشاعر عن آلام وطنه كان تعبيره مطابقاً لما تشعر به نفسه ، وإذا عبر عن آلام نفسه ، كان صورة صادقة لما يعانيه الوطن من آلام وضغوط .

ويحدد الدكتور/ محمد خلف الله أحمد مفهوم شعر المناسبات بأنه : هو ما تفجر إثر مناسبة بعينها[1] .

ونلحظ على هذا التعريف ، أنه لم يحدد نوع المناسبة ، مما يفسح المجال أمام الشعراء لأن يقولوا فى كل مناسبة ، والمهم أن يتوفر عندهم صدق الشعور ، وحرارة الوجدان .

ويرى الأستاذ الدكتور/ محمد غنيمى هلال ، أن شعر المناسبات يعنى به : شعر الأحداث الجارية ، وأصدائها فى النفوس ، بمالها من صبغة قومية أو سياسية وفيها لا يتوجه الشاعر إلى ممدوح يشيد به ، أو يغض من شأن أعدائه بالمدح أو القدح ، كما لا يقصد بشعره زلفى أو عطاءً ... وإنما يتوجه الشاعر – بشعر المناسبات عموماً – إلى الشعب يتغنى معه بما يريد ، ويقود وعيه لتحقيق ما يستطيع ، فيبين الإرادة وتحقيقها فى حدود الاستطاعة ، ويقوم شعره بتعبئة القوى ، وجمع الشمل ، وتنمية المشاعر الكريمة ، وتنبيه الوعى الغافل [2] .

---

١ . راجع : من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده/ ١٥٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .

٢ . دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده/ ١٣٣ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

وفى النفس شيء من الرأى السابق ؛ ذلك أنه يرى أن الشاعر لا ينبغى له أن يتوجه بشعره – فى المناسبات المختلفة – إلى ممدوح معين يشيد به ، ويغض من شأن أعدائه ، وإنما يتوجه به عموماً إلى عامة الشعب ، يتغنى معه بما يريد .

ولست أجد بأساً على الشاعر إذا ما توجه بشعره فى مناسبة أو أكثر إلى شخص بعينه ، خاصة إذا كان هذا الشخص يستحق التكريم والإشادة به ، أو كان هو مصدر القوة والمنعة بالنسبة لتلك الجماعة ، أو هذا الشعب .

ولا أرى مانعاً – كذلك – من أن يمزج الشاعر – فى مناسبته – بين المدح والتغنى بإرادة الشعوب وآمالها ، فقد يكون فى الجمع بين المدح والتغنى بحاجة الأمة ، ما يدفع الممدوح ويهز نخوته ، فيجعله يسارع إلى تحقيق طموحات الشعب وآماله .

ولعل مما يؤيد ما ذهبنا إليه قول الدكتور/ رزق داود : "مما يتصل بالشعر الاجتماعى : شعر المناسبات ، وهو كثير بصورة تلفت النظر ... فإذا مدح الشاعر ذا سلطان ؛ لأنه قدم لوطنه يداً ، أو يسر لمواطنيه ما صعب من أمور حياتهم ، وبذل من أجلهم كل ما يملكه من قوة وطاقة ، وأحس الشاعر بهذه الفضائل تملأ أقطار نفسه ولاءً وحباً لهذه الممدوح ، فلا يعاب على الشاعر أن يمدحه عند ذلك ، فالشعر خاطر ، لا يزال يجيش بالنفس حتى يجد متنفساً ، ويصيب مخرجاً"[1] .

كما أن الدكتور/ محمد غنيمى هلال قد أهمل "المناسبات الخاصة" التى تقع للشاعر ، فلم يشر فى كلامه إلى تلك المناسبات التى تتفجر داخل نفسية الشاعر ،

١ . محمد هاشم رشيد أضواء على شعره وشاعريته ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م/ ٤٩ ، مطبعة الأمانة .

فقد ينظم الشاعر فى ذلك شعراً رائعاً ، وعند ذلك لا يصح منا أن نجبره على أن يتوجه بشعره فى مثل هذه المناسبة إلى الشعب ؛ إذ من حقه أن ينظم فى أموره الخاصة التى تحرك شاعريته [1] .

ولعل من الأمور المهمة – بعد حديثنا عن مفهوم شعر المناسبات – أن نعرض الخلاف الذى دار حول شعر المناسبات ، لنقف على وجهات النظر المختلفة حول هذه القضية .

فى الحقيقة إن قضية "شعر المناسبات" تعد من القضايا النقدية المهمة ، والتى دار حولها كثير من الجدل والنقاش فى العصر الحديث ، وبطبيعة الحال أن نجد النقاد أمامها فريقين ، فريقاً يرفض هذا اللون الشعرى ، وفريقاً يرضى عنه ويؤيده ، ولكل وجهة هو موليها .

ونريد أن نؤكد هنا – قبل ذكر الخلاف – على قدم هذا اللون الفنى ، فشعر المناسبات له جذوره القديمة الموغلة فى القدم ، وهى جذور قوية امتدت وتفرعت حتى غطت كل العصور الأدبية ، بدءاً من عصر الريادة الجاهلى ، وحتى العصر الحديث ، فـ "المعتاد دائماً فى هذا الشعر أن ينظم بمناسبة من المناسبات ، وكانت مناسباته فى عصوره القديمة والوسطى فردية" [2].

١ . راجع : مجلة الشعر ، العدد ٧١ ، سنة ١٩٩٣م/ ٦٥ .
٢ . شوقى شاعر العصر الحديث ، د. شوقى ضيف ، ط ١٩٩٥/٩٤م/ ١٣٤ ، دار المعارف بمصر .

شعر المناسبات إذن أشبه ما يكون بشجرة عظيمة ، امتدت جذورها وفروعها إلى شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها ، حتى أصبح من العسير أن يقتلعها شخص ، أو ينال منها شيئاً .

وسوف نعرض الآن آراء النقاد حول هذه القضية :

يرى الناقد عبد الرحمن شكرى : أن شعر المناسبات ، نظم خارج عن أصول الشعر وحقيقته ، ويشجبه قائلاً : إنه ليس أدل على فوضى الأدب ، وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء ، وكأنما الشعر جريدة منظومة ، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان . وإنما الشاعر هو الذى يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس ، ويضرب على كل وتر من أوتارها ، والذى تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقها نسيمه ، وينعشها بنفحاته ، ويسمعها من ألحانه ، ويريق عليها من ضيائه ويرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة [1] .

وهى رؤية معتمة – كما نرى – تحاول قتل شعر المناسبات وإخلاء ساحة شعرنا العربى منه ، بحجة خلوه من الصدق فى الشعور ، وكونه مفتعلاً رديئاً لا خير فيه ، ولا فائدة منه .

ويرى المازنى : أن شعر المناسبات ليس من الشعر فى شيء ، وحكم بأن بيتاً واحداً لشكرى يفضل كل ما قاله حافظ إبراهيم فى مناسباته[2] .

---

١ . ديوان شكرى ، جمع وتقديم/ نقولا يوسف ، ط ١٩٦٠م/ ٢٨٩ .

٢ . الحوار الأدبى حول الشعر ، د. محمد أبو الأنوار ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م/ ٤٦٦ دار المعارف نقلاً عن صحيفة عكاظ ١٩١٣/٨/٨م .

وهذا الرأى فيه كثير من الإسراف والإجحاف فى إطلاق الأحكام ؛ ذلك لأن (حافظ إبراهيم) قال شعراً فى المناسبات المختلفة لا يقل جودة عن غيره من الأشعار، وأنه تميز فى شعره فى المناسبات بسمو الغاية ، ونبل المقصد .

ورغم أن العقاد كان أول من أثار هذه الصيحة حول شعر المناسبات ، نجد لرأيه بعض الارتياح ، فهو يرى أنه لا تهمة للشعر إذا حدثنا عن الاجتماعيات والحماسيات والحوادث التى تلهج بها الألسنة ، والصيحات التى تهتف بها الجماهير ولكن الشاعر إذا نظم فيها ينظم بالدوافع الحق للإبداع الفنى ... أى لا يكون خاضعاً لأى اعتبار آخر خارج الروح الفنية وبواعثها [1] .

وهكذا نرى العقاد ألين قولاً ، وأسلس توجيهاً من زميليه فيما يتصل برأيه فى شعر المناسبات .

ولما كانت هذه هى وجهة نظر الديوانيين فى شعر المناسبات ، فقد حاربوه ، وحاربوا كل شعر يمت إليه بصلة ، وصبوا جام غضبهم وسخطهم على كل من نظم من الشعراء فى هذا الجانب ، وعلى رأسهم أمير الشعراء "أحمد شوقى" الذى كان "يصلى نقداً حامياً منهم ، وكان يتهم بأنه شاعر التقليد ، وشاعر الخديوى ، وشاعر المناسبات ، وشاعر الصنعة والتكلف"[2] .

وفى مقابل هذا هذا الاتجاه الرافض لشعر المناسبات ، نجد أتجاهاً آخر يبدو أكثر تسامحاً معه ، وأنصار هذا الاتجاه كثيرون ، وسوف نذكر هنا أقوال بعضهم ،

١ . السابق/ ٤٦٩ .
٢ . جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٩٧/٦/٢٧م من مقال للأستاذ/ أحمد بهجت تحت عنوان "صندوق الدنيا" .

مكتفين بها عن أقوال بعض الذين لم يذكروا ؛ نظراً لأنها تحمل وجهة نظرهم جميعاً.

ذهب الدكتور/ على الجندى إلى أن شعر المناسبات يعد من صميم الشعر وأجوده[1] .

ويرى الدكتور/ محمد خلف الله أحمد ، أنه من روائع الشعر ، ويمثل له بقصيدة حافظ إبراهيم فى مظاهرة النساء التى حدثت عام ١٩١٩م ، ويقول : "وإن من آيات التنزيل ما كان وليد المناسبات" .

ولا يرى الدكتور/ محمد غنيمى هلال عيباً فى ارتياد الشاعر شعر المناسبات ؛ لأنه يقود وعى الأمة ، وينمى فيها المشاعر الكريمة ، والإحساس بالأشياء الصغيرة التى قد لا تنتبه إليها .

ومن خلال هذا العرض السريع نستطيع أن نقف على مدى أهمية هذا اللون الشعرى فى المجتمع فى شتى العصور ، وما قام به من بث للحماس والحمية فى نفوس الشعب ؛ لدرء المظالم ، ومحاربة الفساد بكل أشكاله ، ثم هو نقد لحياة الأفراد ، وتوجيه لهم إلى الطريق السوى ، وندرك كذلك أنه ليس كل شعر المناسبات ضعيفاً ومتكلفاً ، بل منه ما بلغ الغاية العالية ، وحقق المقاصد والأهداف النبيلة .

لذا أرى أن نتقبل هذا اللون الشعرى بقبول حسن ، وأن نفتح له صدورنا ، فالذى لا شك فيه أنه شعر ككل الشعر ، وأنه لا يخلو من الألفاظ الرشيقة ، والمعانى اللطيفة ، والأخيلة الخصبة الرائعة ، وكيف لا نتقبله ولا نفتح له صدورنا ، وهو إفراز

١ . مقدمة " ألحان الأصيل" ، ط دار الفكر العربى/ ٨ .

المجتمع الذى يعيش فيه الأديب ويتأثر به ، خاصة إذا كنا ندرك تمام الإدارك "أن الأديب لا يسقط على مجتمعه من السماء ، ولا يعيش فى برج عاجى بعيداً عنه ، إنه ينشأ فيه ، ويصدر عنه ، وينتج مادته الأدبية من مسموعاته وإحساساته ومرئياته ، ويعكس مشاعر مجتمعه وبواعثه ونوازعه ، ولذا فإن صلة الأدب بالمجتمع وثيقة ؛ إذ لا يوجد أدب بدون مجتمع ينبثق منه"[1] .

وقد نستريح إلى هذا اللون الشعرى أكثر ، إذا علمنا "أن معظم النقد الذى وجه إليه لم يكن حقاً كله ، بل كان معظمه تحاملاً واعتسافاً ، فإن الشعر وجدانى انفعالى لا سلطان لأحد على شاعرية الشاعر عند نظمه لشعره ، حتى الشاعر نفسه ، وهو إن فعل ذلك : فترت فقريحته ، وتبلد حسه .

والأمر الذى لا شك فيه : أن المقاييس التى وضعها أصحاب الديوان للشعر ، وأرادوا تطبيقها على شعر المناسبات لم يكن يقصد بها إلا التحامل ، ومحاولة الهدم؛ لأنها – فى الغالب – لم تقف عند حدود النقد والأدب ومقاييسه ، واستنباط المقاييس مما يوجد فى الشعر ، بل كان الغالب على تلك المقاييس أنها مجتلبة من آداب ومذاهب نقدية لا تمت إلى نقدنا العربى وآدابنا العربية بصلة ، إضافة إلى الهوى والتحامل الذى غلف كل ذلك ، مما أسبغ جواً ضبابياً على الحياة الأدبية والنقدية فى تلك الفترة[2] .

١ . البحث الأدبى ، د. شوقى ضيف ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م/ ص٩٦ ، دار المعارف بمصر .
٢ . شعر المناسبات فى العصر الحديث بمصر ، د. سالم عواد حشيش/ ٧ .

وقد تتغير نظرتنا إلى شعر المناسبات ، ونفتح له قلوبنا وعقولنا ، إذا علمنا أن العقاد قد رجع عن أحكامه التى كان قد أصدرها ضده خلال معاركه النقدية الحامية "واعترف بأنها كانت من حماقة الشباب ، ولم يتنكر هو ولا غيره لإمارة شوقى فى الشعر ، ولا للتاج الذى خلعه الأدباء على جبين حافظ ، وهو شاعر النيل"[1] .

فالمناسبة فى ذاتها لا تضعف الشعر ولا تحط من قدره ، وإنما ذلك متوقف على صدق الشاعر وأصالة تعبيره ، وبلوغه أعماق النفوس بآيات بيانه .

١ . الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، د. على على صبح ، ط ١٩٨٧م/ ٣٦ وما بعدها .

المبحث الثانى

محاور شعر المناسبات الدينية فى
"النصف الأول من القرن العشرين"

تبدأ هذه المرحلة من مطلع القرن العشرين حتى عام ١٩٥٠م ، وهى فترة الغليان السياسى ، والثورة الشاملة على كل مفاهيم الحياة ، وقد نشأ كثير من شعراء الأزهر فى هذه الفترة ، وعاصروا الأحداث السياسية الهامة ، كحادثة دنشواى الشهيرة ١٩٠٦م ، وأخذوا ينظمون القصائد فى البكاء على أصاب تلك القرية ، والتشهير بأعمال الإنجليز ، وعاصروا ما حدث بعد ذلك من موت للزعيم الوطنى "مصطفى كامل" ، ونشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م) وثورة ١٩١٩م ، وما ترتب على ذلك من فرض الحماية التى فرضتها انجلترا فى الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤م ، والتى قبلتها ألمانيا ضمن شروط الصلح ، وما تبع ذلك من تصريح الثامن والعشرين من فبراير سنة ١٩٢٣م ، وإعلان استقلال مصر ، والمناداة بالسلطان فؤاد ملكاً لمصر ، وتأسيس حزب الأحرار الدستوريين ، ووفاة "سعد زغلول" ، ومعاهدة ١٩٣٦م ، والحرب العالمية الثانية ، وحرب فلسطين عام ١٩٤٨م ، وقد تركت هذه الأحداث بصماتها عليهم إيجاباً وسلباً [١] .

لقد عاصر شعراء الأزهر هذه الأحداث السياسية ، وعاشوا ماواكب هذه الأحداث اجتماعياً ، وفكرياً ، فلقد تغيرت التركيبة الإجتماعية للمجتمع المصرى

١ . راجع : ثورة ١٩١٩م تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١م ، عبد الرحمن الرافعى/ ص ٣٣٢ ، ط ٤ دار المعارف .

بعد ثورة ١٩١٩م ، والتى خاضت غمارها البرجوازية المصرية التى كانت قد اكتمل نموها إلى حد بعيد خلال تلك الحقبة [١] .

ومما يدلنا على التقدم الاجتماعى فى مصر فى بدايات النصف الأول من القرن العشرين ، انضمام طبقات الموظفين والفلاحين واشتراكهم فى ثورة ١٩١٩م ، فإن أحداً لم يكن يتوقع أن يشترك الموظفون فى الحركة الوطنية ، ويسهموا فيها إلى درجة الاحتجاج على نظام الحكومة ، ثم الإضراب عن العمل لغرض سياسى ، أما عن طبقة الفلاحين فلم يكن أحد يتوقع أن يشترك الفلاح الساذج البعيد بفطرته عن غمار السياسة بعواصفها ، ويندمج فيها إلى درجة الثورة ، وخلع قضبان السكك الحديدية ، وقطع طرق المواصلات ، وبذل الروح فداءً للوطن .

وكما عاصر شعراء الأزهر هذه الأحداث – خلال النصف الأول من القرن العشرين فقد عاصروا كذلك دعوات الإصلاح التى كانت تملأ سمع الوجود ، وكيان الأمة ، وذلك فى فروع الفكر والحياة ، كالدعوة إلى صحوة الشرق ووقوفه أمام المستعمر الذى كرس كل جهوده ضد الأمة الإسلامية وتراثها ، وكالدعوة إلى إصلاح الأزهر وضرورة خوضه تجربة العصر الحديث بفكر إسلامى صحيح ، ونبذ ماران عليه من تخلف وجمود وتكلف ، وكالدعوة إلى تحرير المرأة ، وخروجها للمجتمع لطلب العلم ، وكالدعوة إلى تعريب التعليم ، والاهتمام بالتجربة المصرية فى هذا

١ . الاتجاه الواقعى فى الرواية العربية الحديثة فى مصر ، د. حلمى بدير/ ص ٤٢ ، ط أولى – دار المعارف .

المجال ، وكالدعوة إلى إنشاء جامعة كمطلب ملح يواجه التقدم العلمى ، وكالدعوة إلى المصرية ، وهى نتيجة مباشرة لنمو الفكر المصرى[1] .

وكما عاصر شعراء الأزهر – خلال هذه الفترة – الأحداث السياسية ، والتغيرات الاجتماعية والفكرية ، فقد عاصروا – كذلك – ظواهر أدبيةً مهمة ، وقد تمثلت هذه الظواهر فى المدارس الأدبية كمدرسة المحافظين ، ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، والمدرسة المهجرية .

إنها أحداث سياسية ، وظاهر اجتماعية ، واقتصادية ، ومدارس وجماعات أدبية وفكرية ظهرت فى أوائل القرن العشرين ، وعايشها شعراء الأزهر ، وتأثروا بها تأثراً واضحاً ، وكان لكل شاعر منهم عالمه الخاص ، وتكوينه الذاتى الذى ظهر على إنتاجه الأدبى "ومن الأدباء من يتصلون بوسطهم أدق اتصال حتى لكأن آثارهم تعكس بيئتهم والفصول التى تأتلف منها عكساً دقيقاً ، وقد يبدأ الأديب متأثراً بوسطه ، ثم يتضاءل فيه هذا التأثر كلما تقدم فى سنه ، فهو يبدأ مفعماً بما كانت تحمل إليه حواسه منه ، ثم يقل ذلك فى نفسه مع الزمن ، إذ يغلب عليه الاستمرار من داخله ، ومن عقله وتأملاته"[2] .

وقد بدأت بواكير اليقظة لدى الأمة العربية يظهر صداها خلال هذه المرحلة ، فالاستعمار لا يزال جاثماً فوق صدر الأمة العربية ، وقد سلب حريتها ، وحطم مواردها المختلفة ، وأرهق عامة الشعب بضرائبه وويلاته الفادحة ، فى حين أن

١ . نفس المصدر السابق / ص ١٠٨ .
٢ . فى النقد الأدبى ، د. شوقى ضيف/ ص ٥٩ ، ط دار المعارف السابعة سنة ١٩٨٨م .

الأمم من حولها فى تقدم مستمر، مما دفع الأمة العربية إلى استجماع أمرها، وتوحيد كلمتها، وعزمها على النهوض والتقدم على الرغم من كل القيود والأغلال التى أرهقت قواها، وبدأت الأمة العربية تصل أحبالها بأحبال الثقافة الحديثة، وتأخذ منها بالقدر الذى يتفق مع شخصيتها، وانتشر التعليم، وكثر رواده، ونشطت حركة الصحافة، واهتمت بالنواحى السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الناحية الأدبية، فكان لها بذلك الفضل الكبير فى إيقاظ مشاعر الأمة.

وقد تشابكت هذه العوامل جميعها فى توجيه الأمة العربية الوجهة السليمة فى تفكيرها ومسيرتها "فبدأت تنظر فى حاضرها وغابرها، وترسم الطريق لمستقبلها، تثبت الدعائم لحياتها الجديدة لا جئة إلى العلم والأدب، وإلى ما لمحت فى العالم المتحضر من وسائل النهوض فاتخذت منها هادياً، وكان للشعر نصيب من عوامل النهوض فى هذه الفترة، وظهر ذلك فى ألفاظه، وأساليبه، وأغراضه، ومعانيه"[1].

هذا، وقد حفلت هذه المرحلة بمجموعة رائعة من الشعراء الأزهريين، الذين استنارت بهم الحياة، وقد قاموا بدور بارز وفعال فى النهضة الأدبية الحديثة، فقد انصهروا فى بوتقة الحياة، واندمجوا مع أحداثها اندماجاً كاملاً، وكان لهم تأثيرهم فى كل مكان ومجال.

وقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يرتقوا بأشعارهم، ويطوروا فيها تبعاً لتطور الحياة، فلم يعد الشعر عندهم بكاءً على الأطلال والدمن، ولا تشوقاً إلى استنشاق

١. صفحات من الأدب المصرى، د. عبد الحميد حسن/ ص ١٦٩، ط دار الفكر العربى الأولى.

نسيم نجد أو غيرها من البقاع القديمة ، وإنما أصبح سلاحاً قوياً ، وأداة فعالة تقتحم غمار الحياة بكل ما فيها من أحداث .

ومن الشعراء البارزين الذين ظهروا فى هذه المرحلة : عبد الجواد رمضان ، وأحمد الزين ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد الأسمر ، وحسن القاياتى ، ومحمد الخضر حسين ، وأحمد شفيع السيد ، ومحمود أبو الوفا ، والصاوى شعلان ، وأحمد حسن الباقورى ، وإبراهيم بديوى ، وإبراهيم أبو الخشب ، وحسن جاد ، ومحمد عبد المنعم خفاجى ، ومحمد مصطفى الغمرى ، وعبد العليم عيسى ، ومحمد رجب البيومى[1] وغيرهم كثيرون .

وسوف نقتصر – فى دراستنا – على شعر مجموعة من هؤلاء الشعراء ، بحيث تؤدى الغرض ، وتوفى بالمراد ، وهذا ما سوف يظهر من خلال دراستنا للقضايا التى عالجها شعرهم فى تلك المرحلة .

- **أبرز محاور شعر المناسبات الدينية فى هذه المرحلة :**

ازدحمت هذه المرحلة بالكثير من الشعراء الأزهريين ، وقد عاصر هؤلاء الشعراء الأحداث السياسية ، والتغيرات الفكرية والاجتماعية التى وقعت فى تلك الفترة الحاسمة ، وقد عايشوا كل ذلك وعبروا عنه فى أشعارهم تعبيراً صادقاً ، بحيث نستطيع أن نقول إنهم استطاعوا بحق أن يمثلوا ظروف حياتهم تمثيلاً صادقاً ، فقد ظهرت لهؤلاء الشعراء ألوان عالية من الإبداع الشعرى فى مختلف المناسبات الدينية المنتشرة على مدار العام ، والتى كان الشعراء يقدمون فيها للشعوب

١ . سوف نترجم لهؤلاء الشعراء عند الحديث عن محاور شعرهم .

الإسلامية دواءً ناجحاً لإيقاظ الشعور الدينى لديهم ، وقد كان ذلك أشد شيء على المستعمرين ؛ ذلك لأن الدين الإسلامى دين يدعو إلى العزة والكرامة ، ويأبى على المسلم أن يخضع لسواه ، أو أن يذل نفسه ، كما أن فى يقظة الشعور الدينى استرجاع للماضى المجيد لهذه الأمة ، وتذكير لما كانت عليه من عظمة وعلم وقوة، وتحسر على ما آلت إليه من استعباد وخزى ، لأجل ذلك ترى هؤلاء المستعمرين كانوا يحاولون دائماً إضعاف هذه المشاعر لدى شباب البلاد التى يحتلونها ؛ لأنهم يعلمون أن هذا الشعور لو اكتمل ، وقويت شوكته ، فسوف يهب أبناؤه هبة قوية فتية تطردهم من بلادهم ، وتستعيد مجدهم السالف .

وقد فطن المستعمرون لهذه الناحية ، فأغرونا أول الأمر بالحضارة الأوبية ، وأكثروا من مفاسدها فيما بيننا حتى تخف وطأة الدين والأخلاق على نفوسنا ، ونستمرئ الملاهى والمعابث ، وننسى الماضى الرائع ، والجهاد الشاق ، والصراع الطويل المر الذى بيننا وبينهم [1] .

هذا ، وقد استطاع شعراء الأزهر فى هذه المرحلة ، أن يتخذوا من شعرهم سلاحاً قوياً ضد الاستعمار ودعاوى الإلحاد ، فما تكاد تحين مناسبة دينية حتى يتبارى الشعراء الأزهريون لتقديم القصائد الرائعة التى تكشف عن مكر الاستعمار ومكائده وسوء نيته واستهتاره بمصالح الشعوب .

ومن خلال الكم الهائل الذى قرأناه من القصائد الدينية لشعراء هذه المرحلة ، نستطيع أن نقول : إن هذا الشعر قد دار فى عدة محاور أساسية ، وعبر عن مجموعة

١ . راجع : أشهر شعراء الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين ، د. السيد غزالة/ ص ٣٨٤ .

من الأفكار المتقاربة ، والتى كانت فى جوهرها استجابة لما تموج به الحياة من أحداث وانقلابات فى شتى المجالات .

وإليك أبرز هذه المحاور مرتبة حسب الكثرة :

١. استدعاء شخصية الرسول ﷺ :

كانت شخصية الرسول ﷺ فى هذه المرحلة مصدر إلهام للشعراء جميعاً ، فقد تسابقوا إلى مدحه والثناء عليه ، والكشف عن العديد من صفاته العالية ، وأخلاقه الكريمة ، وملامح العظمة فى حياته ﷺ .

كذلك تناول الشعراء رسالته السمحة ، مبرزين مزاياها فى قوتها وصفائها ، والدعوة إلى اتباع تعاليمها التى تعتبر أقوم تعاليم ، ثم الدفاع عن الإسلام ، ودحض مفتريات خصومه المعاصرين ، ثم الدعوة إلى القوة واليقظة والوحدة ، والاستمساك بمكارم الأخلاق ، ثم مقاومة الإنحلال ، والإلحاد ، ومظاهر الفساد المختلفة .

إلى غير ذلك مما سنكشف عنه – إن شاء الله – فى الشطور القادمة .

ولنبدأ بحديث شعراء الأزهر عن الرسول ﷺ :

حرص الشعراء على الاحتفاء بشخصية الرسول ﷺ عند نظمهم فى مختلف المناسبات الدينية ، كمولد الرسول ﷺ ، أو ذكرى هجرته الشريفة ... أو غير ذلك ، محاولين من خلال ذلك أن يقوموا بإرساء قيم الشريعة الإسلامية ومبادئها التى حاول المستعمرون أن يلقوا عليها بأكوام من التراب .

وقد كانت مناسبة المولد النبوى ، من الذكريات الإسلامية الخالدة التى هزت مشاعر المسلمين ، ولقيت من الاحتفاء والاهتمام ما لم تلقه مناسبة أخرى .

ويعد الشاعر محمد الخضر حسين [1] من أبرز شعراء الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين ، وقد أسهم فى هذا المجال بقصائد متنوعة ، من ذلك قصيدته التى نظمها فى مناسبة المولد الشريف عام ١٣٤٨هـ والتى يقول فيها متحدثاً عن الرسول ﷺ [2] .

حىَّ ذاكَ البدرَ بالزهر النظيمْ　　وامـلأ الجفـنَ بمـرآه الوسـيْم[3]
إنـه يحكـى مُحَّيـا المصـطفى　　إذْ بـدا بـين المصـلّى والحطـيمْ
إن تكـن يـا بـدر تزهـو بسـنًا　　يرشد السارى فى الليل البهيمْ
فسـنا أحمـدَ يهـدِى أممــاً　　ويُريهـا سـنَنَ العّـز المقـيمْ

والشاعر – هنا – يثنى ثناءً حسناً على الرسول ﷺ ، الذى حمل مشاعل النور والهداية إلى الناس عامة ، حتى أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الحق والإيمان ، وهذا فضل كبير من اللّه على البشرية ينبغى أن يقابل بالشكر والعرفان .

ويحاول أحمد شفيع السيد[4] أن يلفت النظر إلى وضع الحياة العربية قبل الإسلام ، وما كان يعتريها من مثالب ، حتى يشعر الناس بقيمة الرسول ﷺ كرسول

١ . هو محمد الخضر بن حسين بن على بن عمر الحسنى التونسى ، ولد فى "نفطة" من بلاد تونس فى عام ١٨٧٣م ، وبها حفظ القرآن الكريم ، ثم تلقى العلم بجامع الزيتونة حتى تخرج فيه ، رحل إلى مصر عام ١٣٤٩هـ ، وتجنس بالجنسية المصرية ، وعمل مصححاً بدار الكتب ، ثم نال العالمية الأزهرية ، وظل يترقى فى مناصبه حتى عين شيخا للجامع الأزهر في أواخر عام ١٣٧٣هـ ، وكان عضوا بمجمع اللغة العربية . وهو يعد من فطاحل شعراء الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين ، وله ديوان شعر بعنوان : خواطر الحياة ، طبع لأول مرة عام ١٩٤٦م ، وتوفى عام ١٩٥٨م .

٢ . انظر : ديوان "خواطر الحياة" محمد الخضر حسين ، ط٢ ، ١٣٧٣هـ/ ١٥٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

٣ . الأبيات من بحر الرمل التام .

٤ . ولد الشاعر "أحمد شفيع السيد حسين الشافعى" – رحمه الله – بالإبراهيمية من أعمال محافظة الشرقية ، فى الثامن عشر من شهر أبريل عام ١٩٠٣م ، التحق بالأزهر الشريف طالباً فمكث فيه عشر سنوات ، درس خلالها علوم اللغة : من أدب ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، وعروض ، ودرس علوم الشريعة ، والأصول كذلك ، ثم نال شهادة العالمية عام ١٩٢٦م ، وله ديوان شعر مخطوط ، نشرت بعض قصائده فى مجلة الأزهر ، وله اهتمام خاص بالمناسبات الدينية ، توفى عام ١٩٦١م .

منقذ للناس من ضراوة الحياة العربية الجافة ، فيقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف [1] :

هو في الكون نوُره وبهاؤه ... وهو للعقل رشدُه وسناؤهُ
جاء والكونُ جَهْلةً وضلال ... كل شعبٍ تقوده أهواؤهُ
كلّ قلبٍ في حِقْده يتنزَّى ... ليس يُشفى إن لم تطلّ دماؤهُ
وائد البنت يستطيل فخارا ... لو درى قرح الجفون بكاؤه
لم تؤلف قلوبهم وحدة الدين ... ن ولم تهن ربعَهم نعماؤه

فالعالم قبل الإسلام ، كان يمر بمحنة قاسية مظلمة ، فلما سطعت شمس الإسلام ذوبت بأشعتها جمود الكفر والضلال ، وبعثت النور إلى كل جنبات الحياة ، حتى تغير الوضع ، وتبدلت الأحوال .

ويشتير الصاوى شعلان [2] ، إلى هذا التغير الذى طرأ على العالم فيقول فى مناسبة المولد الشريف [3] :

نورً أضاء على الوجود ... منه الحياة بشائرًا وسعودًا
فأشرقتْ
وُلد الذى يُحيى البرية هادياً ... ويفك من أسرِ الشعوب قيودا
ويحطّم الأصنامَ فى جبروتها ... ويُقيم للحق البناءَ مشيدا
ويوحّد الأجيالَ لله الذى ... خلقَ العبادَ وأنزلَ التوحيدا
بيديه مصباُح السعادةِ والهدى ... يهدى الخلائقَ مُرشدا ورشيدا

---

١ . مجلة الأزهر ، المجلد الثامن سنة ١٩٣٧م/ ص (هـ) .

٢ . ولد الصاوى على شعلان فى الثامن من سبتمبر من عام ١٩٠١م ، فى قرية "سبك الأحد" مركز "أشمون" منوفية ، حفظ القرآن الكريم ، وتعلم بالأزهر الشريف ، حصل على العالمية عام ١٩٣٤م ، وعين واعظاً بمصلحة السجون عقب تخرجه ، وظل كذلك حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٦٣م وهو بوظيفة مدير عام لإدارة الوعظ والتعليم بمصلحة السجون ، وهو شاعر كبير قال الشعر فى مختلف الأغراض ، وله ديوان : "وحى الإيمان" طبع عام ١٩٧٩م . (د. السيد غزالة/ ١٤٧) .

٣ . انظر ديوان : وحى الإيمان ، ط ١٩٧٩م/ ٢٤٠ ، والأبيات من الكامل التام .

فالرسول ﷺ بيديه تغيرت ملامح الحياة ، وأعيدت صياغتها من جديد صياغة تقوم على مبادئ الرحمة ، والعدل ، والإنصاف ، لذا تعلقت به أفئدة الشعراء ، وراحوا يفتشون فى روضه عن شمائله ، وملامح العظمة لإبرازها للناس ، رغبة فى الاقتداء به ، والسير على هداه ...

والشاعر "محمد الأسمر [1] يعدد لنا بعض الشمائل المحمدية ، كاشفاً عن سر العظمة فى حياته ﷺ فيقول من قصيدة له ألقاها فى مناسبة مولد الرسول ﷺ [2]:

إن الرسولَ محمدا صبحُ بدا ... من راح يعثر فى سناء فلا لَعا [3]

جاءت له الدنيا فأعرضَ ... يبغى من الأخرى المكانَ

زاهدًا ... الأرفعا

ما جَّر أثوابَ الحرير ولا ... بالتاج من فوق الجبينِ مُرصّعا

مشى

مَنْ ألبس الدنيا السعادةَ حُلّةً ... فضفاضةً لبس القميصَ مرقّعا !

وهو الذى لو شاء نالتْ كفّه ... كلَّ الذى فوق البسيطة أجمعا

لم يبغها ملكا عضوضا ، بل ... لله لا لسواه أفضل من دعا

دعا

مسكُ به اختتم المهيمن رسْلَه ... وأبان أمرَ الدين والدنيا معا

---

١ . ولد الشاعر محمد الأسمر يوم الثلاثاء ، السادس من ديسمبر عام ١٩٠٠م تحت سماء دمياط ، ومنها استمد دمائه الخلق ، وطيبة النفس ، وخفة الروح ، ووسامة الوجه وبشاشته ، تعلم فى الأزهر الشريف حتى تخرج فيه سنة ١٩٣٠م وعين مشرفاً على مكتبة الأزهر مما أتاح له فرصة الاطلاع والقراءة ، نظم الشعر دون تكلف أو مشقة ، وله شغف كبير بشعر المناسبات الدينية وأحداث السيرة النبوية ، وله ديوان شعرى جمع فيه ما قاله من الشعر حتى عام ١٩٥٠م ، ثم صدر له ديوان : بين الأعاصير ، وهو يضم ما كتبه الشاعر بعد عام ١٩٥٠م ، وشعره جميل وجذاب ، توفى فى السابع من ديسمبر عام ١٩٥٦م .

٢ . انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر/ ص ٨ ، ٩ ، مطبعة شركة فن الطباعة بمصر ، نشر دار إحياء الكتب العربية بمصر ، والأبيات من الكامل التام .

٣ . لا تعاً له ، أى : لا أقاله الله من عثرته .

فالأسمر فى أبياته هذه يشيد بعظمة الرسول ﷺ ، وزهده ، ترفعه عن حطام الدنيا ، رغبة فيما عند الله ، وقد كان ﷺ متواضعاً فى كل شيء : فى ملبسه ، وى مأكله ، وفى مشربه ، وفى مشيه ، وفى سلوكه فى الحياة ، وهو الذى لو أراد الغنى لفتح الله له خزائن الخير الذى لا ينفد ، وكأن الشاعر يريد أن يقول لكل من تعلق بأهداب الدنيا ، وتطاحن عليها ، وشغل نفسه بها : دع هذا فإنه ضلال ، وارجع إلى سيرة نبيك ﷺ لتتزود منها بقيم الخير والحق ، ولتأخذ درساً فى التعالى على ملذات الحياة وبهارجها الفانية .

وحين تمتلئ نفس الشاعر إبراهيم بديوى [1] بمعانى العظمة التى تنطوى عليها شخصية الرسول ﷺ ، نراه يغرد على قيثارته فى مناسبة هجرته الشريفة ، معدداً بعضاً من أفضاله ، يقول :

مولاى : أسعدتَ الحياة ولم يكن ... للناس مثلك يا محمدُ مسعدا
وأقمت للإسلام صرحا عاليا ... مُلئتْ جوانبه العزيزةُ سؤددا
وتركتَ للدنيا تراثا غاليًا ... يفنى الزمان وما يزال مخلدا [2]

---

١ . هو الشاعر إبراهيم على أحمد بديوى ، ولد بحوش عيسى ، أحد مراكز محافظة البحيرة ، فى الثانى والعشرين من أبريل عام ١٩٠٣م ، درس فى الأزهر معهداً وجامعة حتى تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٣٥م ، وعين مدرساً بمعهد طنطا الدينى فى السابع عشر من أكتوبر عام ١٩٣٧م ، وظل يتقلب فى الوظائف المختلفة حتى عين شيخا لمعهد دمنهور الدينى ، وأحيل إلى المعاش عام ١٩٦٨م ، ثم اختير مستشاراً دينيا لمحافظة البحيرة . وله ديوان شعرى من جزئين ، صدر الجزء الأول منه عام ١٩٥٠م ، وصدر الثانى عام ١٩٥٤م عن المطبعة اليوسفية بطنطا بطنطا ، وفيه كثير من شعر المناسبات الدينية ، وتوفى عام ١٩٨٣م . (راجع : أشهر شعراء الأزهر ، د. غزالة ، ص ١٧٠ . وراجع : الشكل والمضمون فى شعر الشيخ إبراهيم بديوى ، د. محمد داود ، ص ١٣ وما بعدها ، مطبعة الأمانة ١٩٩١م) .

٢ . انظر : البديويات ، الجزء الأول/ ص ٢٢ ، المطبعة اليوسفية بطنطا ١٩٥٤م ، والأبيات من الكامل التام .

إن الرسول ﷺ هو منبع السعادة فى الحياة لكل البشر ، وهو الذى استطاع أن يبنى للإسلام صرحاً عالياً محاطاً بالعزة والقوة والسيادة ، وترك لنا دستورين عظيمين خالدين قادرين على إقامة مجتمع مسلم خال من العلل والأمراض ، وهما : القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

ولم يكن الرسول ﷺ يدعو الناس دعوة كلامية فقط ، وإنما كان يطبق دعوته على نفسه تطبيقاً عملياً ، بحيث تتمثل فى شخصه كل المبادئ الإسلامية السمحة التى جاء بها الإسلام .

"والصاوى على شعلان" يلتقط لنا بعدسته هذه اللقطة المحمدية التى تعلن فى صراحة عن رحمته ﷺ وتواضعه حين يقول [1] :

يُجفّفُ دمعةَ الشاكى ويجبُرُ قلبَه المكسورْ
ومن آياتِ رحمتِهِ يواسى الطفلَ فى عصفورْ

* * *

يرقُّ إلى البعيرِ إذا شكا من قسوةِ الإنسانْ
يُميلُ إناءَه بالماءِ حتى يشربَ الحيوانْ

إنها آيات بينات تشهد للرسول ﷺ بالعظمة ، وتضعه فى مكانة عالية رفيعة ، فقد كان الرفق ديدنه ﷺ ودأبه ، يلتزم به ويوصى به أمته ، ويحذرهم من تجاوزه ، مبيناً لهم أن خير الدين أيسره .

١ . انظر : الصاوى على شعلان شاعرا لعلى عامر العربى/ ص٧٢ رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م ، والأبيات من الوافر المجزوء .

ولعل هذا هو ما كفل لدعوته ﷺ الذيوع والشيوع والانتشار، وجعل الناس يقبلون عليها ويؤمنون بمبادئها .

ويمعن "الصاوى شعلان" فى ذكر طائفة أخرى ، من صفات الرسول ﷺ وشمائله التى تشهد بعظمته وعلو مكانته عند مولاه ، فيقول [1] :

اقرأ (لعمُركَ) فى القرآنِ واضحةً   فى سورة الحجرِ لا تَخْفى على الفَهِمِ
الله يُقسم بالهادى ويُلبسُه   ثوبَ الجلال تعالى مُنزِلُ القسمِ
فى خلقه بشرٌ ، فى طهره ملكٌ   فى نوره قمرٌ ، يمشى على قدمِ
هذا ، ومن فوق هذا كلّه عظماً   رسولُ خالقهِ للخلق كلّهِمِ

وليس هناك ما هو أمعن فى الشرف والعظمة وجلالة القدر من أن يقسم الله بنبيه ﷺ فى القرآن الكريم ، ويثنى على أخلاقه التى بلغت المقام العالى الذى لا يطاول .

ويضرب الشاعر إبراهيم بديوى على نفس هذا الوتر ، ولكنه يحاول الإطناب والتفصيل ، رغبة منه فى الوصول إلى حقيقة النفس المحمدية والإحاطة بها ، وإعطائها حقها من المدح والثناء ، فيغتنم مناسبة المولد النبوى ليترجم لنا عن تلك المعانى فيقول [2] :

الله أكبر يا محمدُ ، أنت أجْـ   فَإنُ الهدى ، وفؤاده ، ومشاعُرهْ
والعدل أنت رسوُله ، بل أنت مشْـ   رقُه ، ومنك شموسُه وزواهرُهْ
والمجد أنت فمنك أول بدئِه   وإليك يرجع يا محمدُ آخره
وإذا تضّوع فى الورى حسبٌ وطا   ب فمنك وحدَك طيبُه ومجامرُه[3]

1 . انظر : مجلة منبر الإسلام ، السنة (٣٥) ، العدد (١١)/ ص ١٣٠ ، والأبيات من البسيط التام .
2 . انظر : البديويات ، الجزء الثانى/ ص ١٠ ، والأبيات من الكامل التام .
3 . تضوع : فاح أريجه . ومجامره : جمع مجمر ، وهو ما يحرق فيه الطيب .

فالرسول ﷺ هو النور الإلهى الساطع ، الذى أرسله اللّٰه إلى الدنيا لينشر فيها مبادئ العدل والرحمة والمساواة ، وينصف الضعفاء من عسف الأقوياء وظلمهم ، لذا فدعوته أساس كل معنى جميل فى الحياة .

ويتحدث عن بيانه ﷺ فيقول [1] :

أما البيان : فأنت ناظَم عقدِه ... وإليك ينسبُ دُرهُ وجواهره
لك من جوامعه ومن آياته ... ما أعوزت أشباهُه ونظائره
يكفيك أن الجذع حنَّ حنينُه ... لما استبان إليه أنك هاجره
وكفاك أنك لم تقل إلا هزز ... تَ الدهر ، واهتّزتْ إليك منابره

لقد كان ﷺ أفصح العرب لساناً ، وأقواهم حجة ؛ فقد أعطاه اللّٰه جوامع الكلم، فكلامه هو الكلام الذى قل لفظه ، وكثر معناه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وشيد بالتأييد ، لذا كان يقول : أنا أفصح العرب لساناً ولا فخر.

ويتحدث الشاعر عن شيء من جوده ﷺ وأخلاقه العالية ، وشجاعته النادرة ، فيقول مفصحاً عن ذلك [2] :

أما الندى : فنداك يستبق الريا ... ح ، وتعجز السحب الثقال مواطره
مالا ذ مسكين بجودك مرة ... إلا وقد غمرته منك غوامره
أما عن الخلق الكريم : فأنت من ... بستانه أعطاره وأزاهره
يكفيك فيه شهادة القرآن أنَّ (م) ... كَ صاحبُ الخُلُق الكريمِ وناشره
أما الشجاعة : فهى طبعك ... دَمَكَ الزكى ، فحيث سارَ تسايره
خالط ت

١ . البديويات ، الجزء الثانى/ ١٠ ، ١١ .
٢ . انظر : البديويات ، الجزء الثانى/ ص١١ ، ١٣ .

ما كنت تعبأ بالخطوب ولاتخا فُ الموتَ تلعب بالرقاب أظافره
وَلكَمْ لقيتَ الموقفَ الصّعبَ رَ ببسمةٍ فتهيبتْكَ مخاطره
الخطير

فالرسول ﷺ كان آية فى الجود والكرم ، فلم يحدث أن رد سائلاً ، أو أغلق بابه دون أحد ، أما عن خلقه الكريم ، وشجاعته الفريدة ، فحدث عن ذلك ولا حرج ؛ ذلك أنه ﷺ لم يكن يرهب الموت ، أو يخشى الفناء ، وإنما كان يدفع العدوان إن كان ، ويقمع الطغيان تحت راية قوله – تعالى – :

﴿...فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ..﴾ (١)

ويشير الشاعر "أحمد شفيع السيد"(٢) إلى زاوية أخرى فى حياة الرسول ﷺ ، وهى الإشادة بالدور الهام الذى قام به وتحمل أعباءه من أجل أن يعيد إلى الإنسان وجوده الضائع ، ومن أجل أن يعيد إلى النفوس حياتها التى اندثرت ملامحها خلال عصور الجهل والفساد ، يقول الشاعر من قصيدة له نظمها فى مناسبة مطلع عام هجرى جديد (٣) :

وما عرفتْ هذى الدنا كمحمدٍ كريما يُرجّى أو شجاعا تحاذره
ألم يُحى هذا الكونَ بعد مماته وتُسكبْ على وادى النفوس مواطره؟
ألم يأتهم بالذكر نورا وحكمة موارده تزكو ، وتزكو مصادره ؟
ألم يْبنِ من أبناء يعربَ أمةً إليها عنا كسرى ودانت قياصره
أياديه فى الإنسان بيض كأنها أيادى الربيع الطلق يبسم زاهره

١ . سورة البقرة ، من الآية ١٩٤ .
٢ . تقدمت ترجمته .
٣ . انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثالث والعشرون ، سنة ١٩٥١م/ ص ح ، والأبيات من بحر الطويل .

لقد جاهد الرسول ﷺ من أجل أن يغير مفاهيم الحياة الفاسدة ، ويصوغها صياغة جديدة تتفق مع مراد الله ، وفى سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة كان لابد أن يصبر على أذى المشركين ومزاحمتهم له ولأصحابه فى كل دروب الحياة ، ووضع العراقيل فى طريق دعوته ، وقد كان منه ذلك ، فرسم لنا بذلك صورة صادقة كشفت لنا عن قوة تحمله ، وثقته بالله ، واعتماده عليه فى الأمر كله .

يقول الصاوى شعلان مصوراً لنا جانباً من هذه المعاناة من قصيدة له ، نظمها فى مناسبة المولد النبوى [1] :

آذوه فى نفسٍ وفى مالٍ وفى ... صحب وفى أهل وأصهارِ
جحدوا هدايته ، وقاموا دونه ... صيحاتِ غربانٍ وصُمَّ ضَوَارِى
شهدت مغانى الطائف العلَمَ ... لمَ يشْكُ من نصبٍ ومن أسفارِ
الذى
ومحمد يمشى على الدمَّ صابرا ... والقوم فى عنتٍ وفى إصرارِ

إن كفار مكة قوم امتلأت قلوبهم بالشؤم والخراب ، لذا نراهم دائماً يطاردون دعوة الحق ، ويحاولون اجتثاثها من فوق الأرض ، فكان مثلهم فى ذلك ورائدهم فيه "طائر الخفاش" الذى يعشق العيش فى أحضان الظلام ، وتحقيقاً لهذه الرغبة الناقمة التى تغلى بها صدورهم ، عقدوا مجلساً حضره الشيطان ، وانتهى رأيهم فيه إلى قتل الإيمان وإطفاء النور ، ولكن الله خيب تدبيرهم ، وأحبط أعمالهم ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، وأنجى الله نبيه من تلك المكيدة الحاقدة المسعورة ...

١ . انظر : الصاوى على شعلان شاعراً ، د. على عامر العربى/ ص ٧٥ ، والأبيات من الكامل التام .

وهنا يصور الصاوى شعلان هذا الموقف ، مبرزاً ما كان عليه الرسول من أمن وثقة بالله ! يقول من قصيدة له فى مناسبة الهجرة الشريفة [1] :

حَشدوا على باب النبى وأنفذوا ... ما فى كنانتهم من الفتيانِ
والليلُ زاد سوادُه بقلوبهم ... وجهُ الدُّجى وقلوبهم سيَّانِ
غربانُ سوءٍ حولَ روضٍ ربَّاه ما ... للروضِ والغربانِ أحدقتْ
وعلىٌّ فى بُرْدِ النبى موسَّد ... الله أكبر يا علىَّ الشأنِ
هذا النبى وذا أبو بكر معا ... قمرانِ أو ملكانِ أو عَلَمَانِ
لما رأى الصدّيقُ بيضَ أسنّةٍ ... من كل هندىٍ وكل يمانى
خاف الذئابَ على رحاب محمد ... هيهات ليس لهم إليه يدان
ناداه : لا تحزن فإنّا هاهنا ... معنا المهيمنُ بارئ الأكوانِ

لقد كان بمقدور الله أن يخفى رسوله عن العيون فى مكان أمين بحيث لا يصل إليه العدو ، ولكنه أبقاه فى بيته ، وعرف الكفار بمكانه ، ولم يشأ أن يخرج من البيت قبل وصول الكفار إليه ؛ حتى تكتمل أركان المؤامرة التى تأمروا عليها ، ثم كان الإعجاز الإلهى هو التحدى الحقيقى للكفار ، وهو أن يكون الرسول موجوداً بينهم ... لكنهم يعجزون عن قتله ، ويخرج من بينهم سالماً ، محروساً بعناية الله .

وإذا كان المسلمون فى هذه الفترة [2] يواجهون من أعدائهم نفس هذا الموقف المتأمر ، فإن على أمتنا أن تأخذ من الهجرة ذلك الدرس المفيد : وهو أننا أحياناً نكون أحوج إلى تغيير النفس من تغيير العالم كله ، فلنتجه إلى النفس تغيرها ؛ ليغير الله تعالى ما بنا ، فمن النفس تبدأ الخطوة الأولى فى اتجاه الإصلاح والتقويم .

١ . انظر : ديوان وحى الإيمان/ ١٨ ، والأبيات من بحر الكامل التام .
٢ . فترة النصف الأول من القرن العشرين .

وإذا كانت عبادة الناس أن يهاجروا من مكان إلى مكان من أجل المال والتجارة ، فإن النبى قد هجر أوطانه ، وترك أهله جهاداً فى سبيل الله ومن أجل الدين ، وأمر صحابته قبل ذلك أن يهاجروا إلى الحبشة من أجل دينهم .

يتناول الشاعر "أحمد شفيع السيد" هذه المعانى فيقول [1] :

إنْ يهجرِ الناسُ للدنيا بلاَدهمُ ... فالحُر للدين عن أوطانه سَالِ
فى هجرةِ المصطفى للمجتلى عبرٍ ... إنّ البلاَد بلادُ المجدِ لا الآلِ
فى مكةَ المشرقُ الأسمى لغّرتهِ ... وفى طيبة العز فى حبٍ وإجلالِ
إثنان فى الغار لم يبصرهما أحد ... من العيون ولم يدركهما قالِ
أنوأر أحمدَ كانت جدَّ مسفرةٍ ... وهم عن النور كانوا جدَّ ضُلاَّلِ
لو كان يدرك نورَ الحق ذو رحمٍ ... لأدركوه وما همُّوا بإذلالِ

لقد كانت هذه هى البداية ، حيث أشرق نور النبى وهدى الإسلام من مكة ، واكتمل الأمر فى طيبة "المدينة المنورة" وكان الأولى للكفار أن يدركوا الحق ، ويبصروا النور ، ويؤازروا الرسول ﷺ ويوقروه وهم أعزاء !

ويتابع الشاعر "ذكر بعض الجوانب من تاريخ الهجرة النبوية ليتعظ الناس ويعتبروا ، فلا يثنيهم عن دينهم دعوة باطلة ، ولا حيلة أفاك أثيم ، فيقول من نفس القصيدة [2] :

سائلْ سراقةَ عما كان يطلبه ... من المهاجر سبّاقا لآمالِ
ساختْ قوائمُ مهرٍ فى الرمالِ ... تغوصُ فى اللجَّ ناقُ ذاتُ أثقالِ

١ . الأبيات واردة فى : أشهر شعراء الأزهر ، د. السيد غزالة/ ٣٨٦ ، وهى من البسيط التام .
٢ . السابق والصفحة .

كمـــــــــــــــــــــــــا

سار الطيبة يحدو اليمن ركبهما ... فحل فيها حلول الظافر الغالى
بالبشر والسعد والترحاب قابله ... أبناء يثرب من شيب وأطفال

رحلة شاقة وقاسية عبر الصحراء ، والعدو يطارد لينال مالاً ، مهاجران : الأول مهاجر من أجل الدين ، والثانى : مهاجر من أجل الدنيا ، كبا الثانى ، ونجا الأول ، ووصل منتصراً آمناً ، وقابله أهل المدينة ، فكان لهم غيثاً أحيا قلوبهم ، ونوراً أضاء نفوسهم ، وعقداً جمعهم بعد فرقة وشتات .

يقول :

قد كان غيثا يحيى قلوبهم ... فأخصبت بعد إجداب وإمحال
وكان نورا به أضاءت نفوسهم ... فأشرقت بعد إظلام وإغفال
وكان عقدا لأهواء مفرقة ... فألفت بعد تشتيت وإرسال
تجمعت حول زمر الحق أنفسهم ... ولم تكن قبله تبقى على حال

ويبين الشاعر عبد الجواد رمضان [1] أن الرسول ﷺ فى سبيل جمع هذه القلوب والأرواح حول هذا الدين ، قد جاهد جهاداً كبيراً هو وصحابته الكرام من أجل بناء دولة الإسلام بناءً سليماً قائماً على مبادئ الرحمة والعدل والإنصاف وحماية الضعفاء ، فيقول من قصيدة له فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف [2]:

هذا البشير هدى الرعاء بدينه ... فتبوءوا فى المجد أشرف موضع

---

١ . الشاعر الشيخ عبد الجواد رمضان ، ولد فى بلدة (شدموه) من أعمال الفيوم ، فى نهاية القرن التاسع عشر ، تعلم فى الأزهر معهدا وجامعة ، عين مدرسا فى الأوقاف الملكية ، ومدرسا فى معهد القاهرة ، ثم اختير أستاذا فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ، وكان يتسم بسماحة الخلق ، وأصالة الرأى ، وعفة النفس ، وكان عزوفاً عن الزحام ولو أنه على الحياة ، له شعر كثير لم يجمع فى ديوان نشر بعضه فى مجلة الأزهر فى مختلف المناسبات ، وفى شعره يكثر الغريب ، وقد توفى فى أكتوبر عام ١٩٥٩م على الأرجح . (راجع : مجلة الأزهر ، المجلد الثانى والثلاثون/ ص ٤٥٠) .

٢ . انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثامن ١٩٣٧م/ ص ١٧٠ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

ملكوا الحياة فصرفوها أسعدا ... واستخدموها فى الأعز الأنفع
حموا الضعيف فعز فى أوطانه ... عن أن يدين لغاشم متنطع
وتواضعوا فى مجدهم ، فتهافتت ... أمجاد قيصر فى الحياة وتبع
أعلى الممالك ما أقام بناته ... أمجاد قيصر فى الحياة وتبع
وأجل مجد ما بنته فضيلة ... لا ماتحصن فى البناء الأرفع

نعم ، إن أجل ملك ، وأعظم سلطان ما كان قائماً على الفضيلة والمحبة ، فما بنى على الفضيلة يبقى ويخلد ، وما بنته قوة السلاح والمدافع يزول بزوالها .

وهكذا كانت شخصية الرسول ﷺ ، وملامح العظمة فى حياته الشريفة مصدر إلهام للشعراء الأزهريين فى هذه المرحلة ، حيث صالوا وجالوا بأشعارهم فى مختلف المناسبات الدينية العديدة ينهلون من معين المصطفى الصافى ، ويجنون من رياضه وروداً فواحة يهدونها إلى الناس ، رجاء أن يوقظوا فى قلوبهم قوة الإيمان ، ويحركوا مشاعرهم وعواطفهم لتلتف حول تعاليمه ﷺ وتوجيهاته الراشدة التى تكفل للناس جميعاً حياة آمنة مطمئنة قوامها التمسك بالدين الإسلامى الذى جاء به الرسول ﷺ وارتضاه الله لنا ديناً .

ونرجوا أن نكون قد وفقنا بهذه الإطلالة السريعة فى تقديم صورة واضحة المعالم للشخصية المحمدية ، كما رآها شعراؤنا شعراء الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين ، ونرجوا أن نوفق – كذلك – فى الكشف عن موقف هؤلاء الشعراء من الرسالة الإسلامية ، ومن مبادئها العادلة ، وما دعت إليه من محبة وألفة وعدل وإنصاف شمل كل الناس على اختلاف أجناسهم .

ولعل من أهم القيم التى أشار إليها شعراء الأزهر فى الرسالة المحمدية : هى أنها تعمل على زرع الأمن فى قلوب المسلمين ، واستئصال عوامل الشك والقلق منها ، ولا سيما أن ظروف هذه المرحلة كانت تموج بعوامل التشكيك فى كل قيم الحياة ومفاهيمها ، حتى لقد وصل الأمر إلى التشكيك فى قيم الإسلام السمحة ، لذا وقف شعراء الأزهر يعلنون أن رسالة الإسلام رسالة تكفل الأمن لكل من تمسك بهديها ، وسار فى طريقها .

يقول الشاعر "أحمد شفيع السيد" من قصيدة له فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف مشيراً إلى هذا المعنى[1] :

رب قلب يمور بالشك مورا ... زال بالدين ريه ومراؤه
فاطمأنت من الصدور قلوب ... طاح عنها الهوى وطار عماؤه
يكدر القلب إذ يداخله الشك ... ويبدو عند اليقين ضياؤه
وكذاك النفوس بالشك حيرى ... وضياء الإيمان فيها جلاؤه

فالإيمان بالله ﷻ قوة فى القلب ، تنفى عنه الشك والاضطراب ، تثبته على طريق الحق والنور ، ويغير الإيمان يعيش المرء خائفاً مضطرباً ، شاعراً بالغربة والقلق النفسى ويوضح شاعر الأزهر ، محمد الأسمر ، المبادئ والأسس العامة التى قامت عليها الرسالة المحمدية ، من قصيدة له نظمها فى مناسبة مولد الرسول يقول[2] :

وافى بها بيضاء عدل كلها ... لا تلفين بها الضعيف مضيعا
الناس كلهم سواسية بها ... لا (قيصر) تلقى بها أو (تبعا)

١ . انظر : مجلة الزهر ، المجلد الثامن سنة ١٩٣٧م ، ص (هـ) والأبيات من الخفيف التام .
٢ . انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر ص ٨ ، ٩ ، والأبيات من الكامل التام .

والنــاس أكــرمهم بهــا أتقــاهم | ولــو أنــه كــان الفقيــر المــدقعا
ديــن المســاواة الصــحيحة دينــه | يرعاهم فى الله أفضل من رعى

إن الدعوة الإسلامية لم تكن يوماً ما دعوة جنسية أو عرقية ، من أجل أن تسود أمة على أمة ، أو يستعلى شعب على شعب ، وإنما هى دعوة إسلامية رحيمة ، لا غاية لها ولا هدف إلا الإقرار لله بالوحدانية ، وإقامة الحق بين الناس ، ونشر مبادئ المساواة والعدل بين جميع الأمم والطبقات ، وهى بهذه الصورة حصن أمان للناس جميعاً على أموالهم وأعراضهم مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم .

ويتابع "الأسمر" كلامه ، فيذكر أن الرسالة الإسلامية ، دخلت على الملوك والقياصرة بسماحتها ومبادئها العادلة فزلزلت عروشهم ، وقوضت صروحهم ، وقضت على جبروتهم ، وأشعرت كل إنسان فى الحياة بذاته ووجوده وكيانه ، فيقول فى نفس القصيدة [1] :

دخلــت علــى الجبــروت وهــو مقطــب | صلفا ، فأبصر وجهها فتفزعا
وأبــى لــه حــب البقــاء وطبعــه | إلا الصــيال ، فصــاولت ، فتضعضــعا
وكذا الهداية إن قذفت بها على | ركن الغواية والضلال تصدّعا
من لم تزعزعه العواصف قبلها | بعثــت لــه بنسيمها فتزعزعــا
ثلث عروش الظالمين وملكهم | وبنت لعرش العدل ملكا أو سعا
وجرى العباد على السجية سجدا | لله ، لا لمســخريهم رُكّعــا
وتــراهمُ حــول النبــى فــلا تــرى | مُتملّقــا أو خائفــا متخشّــعا

---

١ . ديوان الشاعر محمد الأسمر – ص ٨ ، ٩ .

فالشاعر الأسمر، يصور لنا هذا الصراع الذى دخلته الرسالة الإسلامية مع المعتقدات الفاسدة التى كانت تملأ سمع الزمان وقتها، وما إن بعثت إليها رسالة الإسلام ببعض نسماتها حتى تزعزعت ومادت.

فرسالة الإسلام، هى الرسالة الخالدة التى استطاعت - بحق - أن تخلص الناس من عسف الظالمين وتسلطهم، وأن تعمل على تغوير آبار الظلم التى ظلت ردحاً من الزمن كاتمة على الأنفاس، كما عملت على إقامة مجتمع مسلم نظيف، اللّه غايته، والرسول الكريم قدوته ورائده.

ويشير "الصاوى شعلان"، إلى القرآن الكريم باعتباره الأساس الأصيل للرسالة الإسلامية، وباعتباره كتاب المسلمين الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيقول [1]:

هذا كتاب مبين جل منزله ... هديا لكل بنى الدنيا وتبيانا
نور تنزل من نور على بشر ... من نوره لاح ضوء الشمس فينانا
إذا تلوت على الأجيال حجته ... ألفيت كل عصور الدهر آذانا
يسرى الجديدان من أنوار ... كمثل مصحف ذى النورين عثمانا
حكمته ...

فالقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد، الذى احتوى بين دفتيه منهجاً متكاملاً لديه القدرة الشاملة على إتيان النفوس من أبوابها الطبيعية، والتغلغل فيها من طريق مؤثراتها الفطرية التى لا تجد النفس السوية معها مناصًا إذا مستها

١. ديوان وحى الإيمان - ٢، والأبيات من بحر البسيط التام.

إشرافات الحق والخير من التسليم إليها ، والاستجابة لها ، وبذلك تتطهر النفوس من النزوات الطائشة ، والشهوات الجامحة ، ومن الوساوس والهواجس ، ليصبح الإنسان ملكًا بروحه ، إنسانًا بجسده من خلال مسيرته تحت ظلال القرآن الكريم .

ويشير "شعلان" – كذلك – إلى ما ترتب على نزول القرآن الكريم من توحد لصفوف المسلمين .

وجمع لكلمتهم فيقول [1] :

قد وحّد الله في توحيده أممًا ... بعد التفرق أدهارًا وأزمانا
سَرَتْ إلى (هيما لايا) الهندِ ... والشامخات الرواسي من
حكمتُه ... (تنيشانا)
لا ينشدُ الحقَّ إلا فيه لو بُعثا ... عيسى بنُ مريم أو موسى بنُ
عمرانا
آثاره غُررُ آياته دُررَ ... من بحرِ جبريلَ لا من بحر عمانا

إن الله ﷻ قد جعل أحكام الإسلام كلها تتجه نحو الوحدة ، وشرائعه وآدابه كلها ترتكز على اعتبار أن الفرد جزء لا يتجزأ من كيان الأمة ، فالإسلام بأحكامه ووصاياه يدعو إلى الوحدة الكاملة الشاملة ، ويقرر أن الرسالة الإلهية واحدة ، ولو نزع التعصب المفرق من بين الناس ، لالتقى أهل الأديان السماوية على المائدة الروحية للرسالة الإلهية .

وفي هذا العصر اعتز أهل أورا بالعصبية الجنسية ، كما كانت العرب في الجاهلية ، فسرى سم ذلك إلى كثيرين من متفرنجة المسلمين ، فحاول بعضهم أن

---

١ . انظر : السابق ، والصفحة .

يجعل من المسلمين جنسيات وطنية ، وفى هذا مقدمات الخراب والدمار؛ لأنه لا عصبية ولا طائفية فى الإسلام .

وينصح الصاوى شعلان بالإقبال على القرآن الكريم ، وحفظه ، والعمل بما فيه، فيقول [1] :

رتله واحفظه واسمع واعملنَّ به تفصح لسانا ، وتصلح فيه وجدانا
إن الأولى حَفظوا آياته حُفظوا وخلدوا المجد تشييدا وعمرانا

فالاعتصام بكتاب الله ، الذى هو أصل الرسالة المحمدية ، هو العمدة فى الهداية ، والعدة فى مباعدة الغواية ، والوسيلة إلى الرشاد ، وطريق السداد ، وحصول المراد ، والعيش فى رحاب القرآن الكريم أعظم حياة ، لا يعرف طعمها إلا من ذاق حلاوة الإيمان ، وتشبع بلذة القرب .

وما أحوج الناس – فى هذ الفترة الزمنية – بل فى كل الفترات إلى أن يقيموا للقرآن الكريم صرحًا شامخًا فى قلوبهم وعقولهم ، حتى يضمنوا إصلاح ما فسد من حياتهم ، ويصلوا إلى شاطئ النجاة كما وصل إليه أسلافهم الأولون .

ويؤكد الشاعر – بعد ذلك – على أن القرآن الكريم ، هو الدستور الإلهى الخالد الذى تكفل الله بحفظه عبر القرون والأجيال إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، يقول [2] :

دستُور آدابٍ ، وصبح هداية وبشير إسعاد ، وكنز درارى
ورسول إمداد ، وظل عناية وربيع أعياد ، وتاج فخار
كل الذى يضع ابنُ آدمَ زائلٌ كزواله ماض بغير قرار

١ . انظر : السابق ، والصفحة .
٢ . انظر : ديوان "وحى الإيمان" – ص ٢٦٠ ، والأبيات من الكامل التام .

إلاّ كتـــابً أحكمـــت آياتـــه بهُـدَى العلـيم وحكمـةِ الجبّـار

إن شـريعة القـرآن يعجـز الزمـان عـن الإتيـان بمثلـها فـى إصـلاح الأفـراد والمجتمعـات فـى كـل العصـور والـدهور، ولا أقـول إنهـا صـالحة لكـل زمـان ومكـان فحسب، ولكن أقول: إنها شريعة الله خالق الأكوان وصانع الإنسان، فهى شريعة خالدة بخلود القرآن.

لأجـل ذلـك، نجـد دلائـل الحـزن، وأمـارات الآسـى تعتصـر قلـب الشـاعر "عبـد الجـواد رمضـان" حينمـا يـرى إعـراض النـاس عـن الأخـذ بمبـادئ الشـريعة الإسلامية، وتهافتهم على حضارة الغرب ومعتقداته التى أجابت رغبات النفوس ويسرت منالها لعامة الناس، والعبث الأخلاقى الذى أدخله على بلادنا أناس لا يريدون الخير للإسلام [1].

يقول متعجبًا من هذا الوضع [2]:

بنفســى ســيد الثقلــين تلقــى رســالتك الــتجهم والصــدودا
أهــذا النــور تنكــره عيــون أهــذا الحــق يحتمــل الجحــودا
ســوافر مــن بــديع الآى غــر عــن الأفكــار حطمــت القيــودا
وعدل مثل حد السيف عمت شــريعته المســود والمســودا
وأخــلاق كمــا رقــت شــمال وداعبــت الخمائــل والــورودا
وآلاء، كمــا انهملــت غيــوث كفلــن الأمــن والعــيش الرغيــدا
عــوارف لــيس يحصــيهن عــد بهــرن فلســن يقــبلن المزيــدا
غـدا الإسـلام منهـا فـى جنـود إذا عــدموا الأســنة والجنــودا

١. راجع: ظلام من الغرب، الشيخ محمد الغزالى – المقدمة، طبعة دار الكتاب العربى بمصر.
٢. انظر: مجلة الأزهر، المجلد الثامن، ١٩٣٧م – ص ح، والأبيات من الوافر التام.

فالإسلام هو دين الوضوح والصراحة ، ورسالته رسالة تكفل الحياة الحرة الكريمة لكل طوائف البشر ، لذا كان الإعراض عنه ، والتجهم له أمراً منكراً ، وفعلاص قبيحًا ، وعلامة تدل على قصور العقل البشرى عن إدراك ما فيه نفعه وصلاحه .

وهكذا استطاع شعراء الأزهر – فى هذه الفترة – أن يطوفوا بإبداعهم الشعرى فى أعماق الشخصية المحمدية ، ويكشفوا عن العديد من صفات الرسول الأعظم ، ويبينوا ملامح العظمة فى حياته ، كما استطاعوا – بجسارة – أن يطرقوا أبواب الرسالة المحمدية ، ويبينوا ملامحها ومزاياها ، وكيف أنها أنقذت البشرية من حياة كلها تخبط وضلال ، وأخذت بأيديهم إلى طريق النور والهداية ، بفضل ما دعت إليه من الأحكام العادلة التى كفلت الكرامة لكل إنسان مهما كان لونه أو جنسه ، وكانوا يهدفون من وراء ذلك كله إلى تذكير المسلمين – فى تلك المرحلة – بماضيهم المجيد ، وبث النشاط والحماس فى نفوسهم حتى لا يضعفوا أو يكلوا أمام تيارات الإلحاد الجارفة التى تنساب دفاقة عليهم حاملة إلى بلادهم ظلام الغرب وسوءاته .

٢. الدفاع عن الإسلام والإشادة بحضارته :

كان أخوف ما يخاف منه المستعمرون : هو قوة الشعور الدينى الإسلامى لدى جماهير المسلمين فى مصر ؛ لأن الإسلام دين يدعو إلى القوة والعزة والكرامة ، وينفر المسلمين من الخضوع والاستدلال لغيرهم ، يربى فيهم حب الاتحاد والتعاون ، فإذا قوى هذا الشعور الدينى لدى المسلمين – والحال كذلك – كان ذلك شيئًا مؤرقًا لمضجع المستعمرين الحاقدين ؛ ذلك أن قوة العواطف والمشاعر الدينية تذكر

المسلمين بماضيهم المجيد ، وما كان لآبائهم وأجدادهم من قوة ومكانة عالية ، وتجعلهم يفكرون فيما آل إليه حالهم من ضعف وتخاذل ، فيعملون على التغيير واستعادة صورة الماضى ، ولن يكون ذلك إلا بمكافحة الاستعمار بشتى صوره .

ولما كان المستعمرون يعملون ألف حساب لهذا الشعور الدينى ، فقد حاولوا – جادين – أن يضعفوا من هذا الشعور ، وأن يحدوا من قوته ، فنشروا الفساد فى الأرض ، وفتحوا على العالم الإسلامى – ولا سيما مصر – منابع الإثم والرذيلة ، وأكثروا من تلك المفاسد حتى يستسيغها المسلمون ويستمرئونها ، وبذلك تفسد أخلاقهم ، ويضعف الوازع الدينى فى نفوسهم ، ويكونون ألعوبة حقيرة فى أيدى المستعمر يحركها كيفما شاء .

والحق أن هذا الأسلوب الاستعمارى دفع شباب المسلمين فى المقابل إلى التمسك بدينهم ، وتكوين الجمعيات الإسلامية العديدة التى تنشر الوعى ، وتنبه الناس إلى خطر الاستعمار ودسائسه وألاعيبه .

وفى هذا الوقت العصيب ، الذى يتطلب منا الاتحاد وجمع الكلمة ، نشأ من أبناء المسلمين نبت غير طيب ، إنهم مستشرقون مصريون ! ولدوا فى بلادنا ، ولكن عقولهم وقلوبهم تربت فى الغرب ، نمت أعوادهم مائلة إليه ، فهم أبدًا تبع لما جاء به .. وكان هؤلاء خطر كبير على كياننا ؛ إذ إنهم مع غيرهم من المستشرفين الحقيقيين كانوا يكثرون من الثرثرة فى الصحف والمجالس ، ويختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة ، وليذهبوا بجزء من مهابته فى النفوس[1] .

١ . راجع : ظلام من الغرب ، الشيخ محمد الغزالى – ٣ .

وأمام هذه التعديات المتكررة على مشاعر المسلمين ، نشأت كثير من الجمعيات الدينية التى تدافع عن الدين ، وتعمل على تقوية العاطفة فى نفوس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها[1] .

منها جمعية "الهداية الإسلامية" و "الشبان المسلمين" ، و "التعاون الإسلامى" و "الإخوان" .

وقد كان لهذه الحركة الدينية من بدء نشأتها إلى اليوم أثر قوى فى الشعر العربى الحديث ، فمن قصائد تقال فى مطلع العام الهجرى ، ومن أخرى تقال فى المولد النبوى ، أو غيره من المناسبات الدينية المختلفة ، وكلها تذكر المسلمين بماضيهم ومجدهم ، وتحثهم على تغيير الواقع البغيض والنهوض بالأمة قدمًا إلى الأمام .

وكان لشعراء الأزهر النصيب الأوفر فى هذا المجال ، حيث صالوا وجالوا مغردين فى كل مناسبة كانت تعرض لهم .

فالشاعر "الصاوى شعلان" يذكر المسلمين فى مناسبة المولد النبوى الشريف ، أن طباع اليهود واحدة ، فهم لا يرعون لغيرهم إلا ولا ذمة ، ولا يوفون بعهد ، ولا يحرصون على إيمان ، بل ديدنهم الإفساد ، ونشر بذور النزاع والشقاق بين الناس ، وتشكيكهم فى عقائدهم وأحكام دينهم ، وهم فى ذلك لا يختلفون عن أسلافهم السابقين فى شيء ، بل يسيرون على خطتهم وعلى نفس منهجهم .

---

١ . انظر : ديوان "وحى الإيمان" – ص ٧٧ ، والأبيات من البسيط التام .

يقول فى ذلك [1] :

أرض العروبة كانت قبل بعثته ... للمفزعات من الثأرات ميدانا
موارد الماء قلت والدماء بها ... تسقى الضريع وتروى أم غيلانا
وفى المدينة حرب كالتى سلفت ... بين العشائر من عبس وذبيانا
وكلما انطفأت غاراتها انطلقت ... يد اليهود تثير الشر بركانا
عيونهم لا تذوق الغمض من ... ولا يملون إفسادا وطغيانا
فتن
أكل الربا والتهام السحت ... بئس الجور وساء القوم جيرانا
حرفتهم
لا يؤمنون بغير العجل من ... أو يعبدون سوى الأموال أوثانا
ذهب
ولليهود سيف من مكائده ... يحتال بالسم أو يغتال عدوانا

وانطلاقًا من مسيرة اليهود القدماء ، نجد يهود الحضارة الحديثة يسيرون على نفس الخطا ، وإن كانوا يغلفون مؤامراتهم ضد الإسلام بشيء من جودة الطلاء وحسن العرض حتى يتقبله ضعاف النفوس .

وقد وقف الملاحدة أمام هجرة الرسول ﷺ ، وسموها فرارًا وهروبًا من الموقف ؛ حتى ينالوا من شخصية الرسول ﷺ ومن هاجر معه من الصحابة الكرام ، وهنا نجد شعراء الأزهر يقفون لهم بالمرصاد ، فها هو ذا "أحمد شفيع السيد" يصور لنا بعض الجوانب فى تاريخ الهجرة ، ويرد كلام الملاحدة والمغرضين إلى نحورهم ، يقول[2] :

لقد عشيت عن مشرق النور أعين ... يرين عليها من ضلال دياجره[3]
وما يبصر الخفاش فى روعة ... فهل يبصر الكفار ما الله ساتره ؟

١ . راجع : ظلام من الغرب ، الشيخ محمد الغزالى – ٣ .
٢ . انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثالث والعشرون ، سنة ١٩٥١م – ص ح ، والأبيات من الطويل .
٣ . يرين : من ران على قلبه ، أى : طبع عليه .

الضـــــــــــــــــــــحى

ولـــيس فـــرارا مـــا أتـــاه محمـــد فليس يطيق الضيم إلا أصـاغره
يقــيم النعــام وادعــا فــى كناســه ويجلو عن الآجام ظلما قساوره
إلـى طيبـة الخيـر استقلت ركائبـه فأثـل مجـدا فـى السـماء مفـاخره

لقد كانت هجرة الرسول ﷺ بحسب الظاهر تركًا للوطن ، وتضييعًا له ، ولكنها كانت فى واقع الأمر حفاظًا عليه ، وضمانة له ، ورب مظهر من مظاهر الحفاظ على الشيء يبدو فى صورة الترك والإعراض عنه .

ونحن نعلم أن الله ﷻ جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء ، فلا قيمة للأرض والوطن والمال والجاة إذا كانت العقيدة ، وشعائر الدين مهددة بالحرب أو الزوال ، لذا فرض الله على عباده أن يضحوا بكل ذلك إذا اقتضى الأمر – فى سبيل العقيدة والإسلام[1] .

وحتى تتحقق الحكمة الإلهية من الأمر بالهجرة ، فإنها تتحول مع الأيام إلى مفخرة للإسلام والمسلمين ، يقول [2] :

فيا هجرة المختار قد كنت فيصلا رأينا به الإشراك قد قطّع دابره
وبــدل ديــن الله بالضــعف قــوة وفارق أهلا فاستفاضت عشائره
فيالـك سـوأى قـد تحولـت خيـرة وشــرا جــرى بــالخير والــيمن طــــــــــــــــــــائره
فلــم ينصــر الكفــار والله فــوقهم ولم يخذل المختار ، والله ناصره

١ . راجع : فقه السيرة ، د. محمد سعيد رمضان البوطى ، ط ١٩٩١م/ ١٣٦ ، دار الفكر .
٢ . انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثالث والعشرين ، عام ١٩٥١م – ص ح . ومعنى أثل : أصل .

فالهجرة – بحق – كانت فيصلاً بين عهدين ، عهد مضى عاشت فيه الدعوة الإسلامية مضطهدة مهددة ، وعهد مكن الله لها فيه فى الأرض ، فثلت عروش الظلم والظالمين ، وتربعت فوق الجميع ، وعاد الرسول ﷺ بعد بضع سنين إلى وطنه الذى أخرج منه ، عاد وهو عزيز الجانب ، منيع القوة ، دون أن يستطيع أحد أن يدنو إليه بسوء ، أو ينظر إليه بمكروه .

ومن هذا المنطلق لم تكن هجرة الرسول ﷺ عيبًا يقدح فيه ، أو يحط من شأن شجاعته ، كما أشاع الملاحدة والمغرضون ، وأصحاب الأقلام المأجورة ، وإنما كانت فتحًا مبينًا للدعوة الإسلامية ، حيث اتخذ المسلمون منها قدوة فى نشر دينهم فى الأقطار ، فخرجوا بعد أن رست قواعد الإسلام إلى العراق ، وإلى بلاد الفرس والشام وغيرها ، مهاجرين بمبادئهم القويمة ، هاجرين أوطانهم ، متمثلين قول الله تعالى :

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا ... ﴾[1]

ولولا تلك الهجرات الأولى ، وما قصد إليه المهاجرون من رغبة صادقة فى إعلاء كلمة الحق ، ونشر مبادئ الإسلام التى تشيع الحرية والعدالة والمساواة بين الناس ، وتكف أيدى أقويائهم عن ضعفائهم ، لولا تلك الهجرات ما أنتشر الإسلام ، وما كان أحد من ملوك تلك الأقطار التى سادها الإسلام أو من ساداتها على استعداد لأن يذهب إلى المدينة المنورة ليعلن تناوله عن سلطانه وجاهه إلى خليفة المسلمين ، أو يدخل فى مبادئ الدين الجديد [2] .

---

١ . سورة النساء : من الآية ١٠٠ .
٢ . راجـــــع : مجلة الأزهر ، عدد المحرم سنة ١٣٨٣هـ/ ٧٠ .

وكما حاول أعداء الإسلام التقليل من شأن هجرة الرسول ﷺ، وتسميتها هروبًا وخوفًا وجبنًا عن مواجهة المواقف، فقد وقفوا من معجزة الإسراء والمعراج موقف المتشكك المرتاب، حتى أنكرها بعضهم، وأولها البعض الآخر.

ويسخر شاعر الأزهر "الصاوى شعلان" من هؤلاء الذين لا يرون هذه الرحلة قضاءً مبرمًا، وأمرًا من الله سبحانه، فيقول دافعًا هذه الافتراءات [1]:

إنى عجبت لمعشر لم يقدروا ... مقدار قدرة مبدع الأشياء
هذا هو المذياع بين ربوعكم ... يا قوم كل صبيحة ومساء
وترى استراليا فى الخضم ... مصباح روما فى المقام النائى يضيئها
والبرق، والحاكى، وكم من ... لم تكتشفها قدرة الفهماء حكمة
أفيعجز البارى تعالى حمده ... عن رحلة المعراج والإسراء ؟

إن إنسان اليوم، قد قدم العديد من الاختراعات العجيبة الباهرة، وصنع العديد من الرحلات الفضائية المتعاقبة، وجاب الفضاء بقوى عديدة تصنع له عن طريق العلم ما تصنع، وتدبر له الأمر، وتضع له المركبة ليركبها، وتهيئ له الصاروخ ليقذف بمركبته إلى جوف الفضاء فى حساب دقيق للثوانى والساعات والأيام، فإذا كان الإنسان المحدود القدرة يقدر على فعل ذلك، فليس مستغربًا إطلاقًا أن يهيئ الله لنبيه محمد ﷺ رحلة الإسراء والمعراج العظيمة، ولا يحق للإنسان أن يسأل كيف كان ذلك؛ لأنها معجزة، والعقل البشرى القاصر ليس فى إمكانه أن

١. انظر: ديوان "وحى الإيمان" – ص ٣٣. وقد قدم الشاعر – فى بيت الأخير – المعراج على الإسراء لضرورة القافية، (والأبيات من الكامل التام).

يفهم المعجزة ، ولا فى إمكانه أن يصنعها ؛ لأن صانع المعجزة هو خلق الأرض والسماء ، إله هذا الكون العظيم .

بقى شيء ، وهو أن المخترعات والمبتكرات الفضائية الحديثة التى وضعها الإنسان لم تفعل المستحيل ، بل عاش الإنسان معها مع الممكن ومع الإمكان ، فالزمن هو الزمن ، والمسافات هى المسافات ، فأين كل هذه التعقيدات من معجزة الإسراء والمعراج ؟

ومن هذا المنطلق ، لا يكون لتشكيك الملاحدة المبغضين للإسلام ورسول الإسلام موقع من الصحة ، لأنهم – لقصور تفكيرهم – قاسوا المسألة بعقولهم هم ، ولو تأملوا قول الله :

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا .... ﴾[1]

لعرفوا أن محمدًا ليس هو الفاعل ، ولكن الفاعل هو الله ، والله قادر على كل شيء ، فلابد أن نقيس الفعل بقدرة الله جل جلاله ، وبذلك يظهر بطلان شكهم ، وقصور تفكيرهم ، وسوء نيتهم .

ومن القضايا الهامة ، التى أثارها الملحدون : "قضية الإسلام والسيف" ، حيث راحوا يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وبالقوة والقهر والجبروت ، ويقولون : إنه لولا ذلك ما انتشر الإسلام ولا عم الآفاق ، يقولون ذلك ، وهم يعلمون أن المسلمين الأوائل هم ضحايا القهر والتعذيب ، قبل أن يقدروا على دفع الأذى عن أنفسهم من

١. سورة الإسراء : من الآية ١ .

كفار قريش فى مكة ، فالمسلمون بدءوا فردًا واحدًا ليس له قوة تحميه إلا حفظ الله إياه ، وليس له جند إلا جنود الله التى تحميه ، وليس له أمل إلا وعد الله له بالنصر.

والشاعر "محمد الأسمر" يبين هنا أن الرسول ﷺ ما أمر بالغزو والفتح ، إلا بعد أن اشتد أذى الكفار له ولدعوته ولأصحابه ، وإلا بعد أن نفدت كل محاولات الهداية والدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفى النهاية أذن الله للمسلمين بقتال المشركين دفاعًا عن أنفسهم ، وعن دينهم ، وتقوية لدعائم الحق والخير والعدل ، وإخمادًا لمواقد الشرك ، يقول من قصيدة له فى ذكرى المولد النبوى[1] :

نادى إلى الحسنى فلما أعرضوا ... واستكبروا شرع الرماح فأسمعا
والحق أعزل لا يروع ، فإن بدا ... مستلئما لاقى الطغاة فروعا[2]
والحق أخفى ما يكون مجردا ... وتراه أوضح ما يكون مدرعا
بعض الأنام إذا رأى نور الهدى ... عرف الطريق ولم يضل المهيعا[3]
ومن البرية معشر لا ينثنى ... عن غيه حتى يخاف ويفزعا

فالرسول ﷺ قاد جيوشه تحفه عناية الله ، لا ليكره أحدًا على اعتقاد دينى ، ولا ليجبره على قبول نظام اجتماعى ، وإنما قادها لدفع العدوان ، وقمع الطغيان ، قادها تحت راية إسلامية سداها ولحمتها قول الله – تعالى – :

---

١. ديوان الشاعر محمد الأسمر – ٨ ، والأبيات من الكامل التام .
٢. مستلئما ، أى : لابسًا اللأمة ، وهى الدرع .
٣. المهيعا ، أى : الطريق البين الواسع .

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [1]

مع مراعاة الحقوق والذمم وخير الإنسانية ، وحين تنشب فإنها تسير فى اتجاه حكيم ، وفى دائرة مغلقة لا تتجاوز أهل الطغيان والعدوان ، وتترفق بالضعفاء والولدان ، فإذا لمحت من العدو رائحة الرغبة فى الإسلام هدأت ؛ رغبة منها فى تجنب إراقة الدماء ، وهذا مما تفردت به حروب المسلمين .

ويأتى شاعر الأزهر "محمد الخضر حسين" ليكشف لنا عن الحكمة من حروب المسلمين مع أعدائهم ، وهى الرغبة فى التمكين لدين الله فى الأرض .

يقول من قصيدة له فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف عام ١٣٤٨هـ [2]:

هو إذ يرهف حدا للذى ... عاث أو يأذن فى حرب الخصيم
لم يرد إلا سلاما سائدا ... واعتزازا لذوى الدين القويم
إن تكن تعجب فاعجب ليد ... لبست قفاز أفاك أثيم
كتبت تزعم من شقوتها ... أنه لم يك بالشخص العظيم
علموها أنه أعظم من ... سار فى الناس على هذا الأديم

فالرسول ﷺ لم يرد بحربه إلا إقرار السلام ، وإعزاز المسلمين ، الذين تشربوا كأس العذاب حتى الثمالة ، وإن تعجب فاعجب لمن غرر به ، وأشرب قلبه كره

١. سورة البقرة : من الآية ١٩٤ .
٢. انظر : ديوان "خواطر الحياة" – ص ١٥٣ ، والأبيات من الرمل التام .

الإسلام ، فشرع يحارب الإسلام ورسوله بقلمه الآثم ، وجهل هذا الأفاك المأفون أنه ﷺ أعظم رسول ، وأفضل من مشى على هذه الأرض .

لأجل ذلك ، وجب على أبناء الشرق الإسلامى أن يتنبهوا إلى دعوات الإلحاد التى تحيط بهم من كل جانب ، وتحاول فى شراسة هدم الإسلام ، والتشكيك فى مبادئه وأحكامه ، تدفعهم إلى ذلك رغبة مسعورة لتشويه صورته ، وإظهاره بصورة غير لائقة ، ولكن هيهات لهم ذلك .

ويدافع شاعر الأزهر "محمد الخضر حسين" عن الإسلام ضد الملاحدة المتنادين بنبذ التشريع الإسلامى ، واللجوء إلى القوانين الوضعية التى لا تتفق مع مبادئ ديننا الإسلامى الحنيف .

وقد كان باديًا على الغزو الثقافى والاجتماعى الذى رمانا به الغرب الحاقد الرغبة فى إقصاء التشريع الإسلامى وإحلال القوانين الوضعية محله [1] .

يقول الشاعر من قصيدة له ألقاها فى مناسبة المولد النبوى الشريف عام ١٣٤٨هـ [2] :

يا خصيما لهدى أحمد ما ... لخصيم الحق من قلب سليم
دونك التاريخ لا تبقى مدى ... فى حديث إن تشأ أو فى قديم
هل رأى الناس كتابا عجبا ... مثل ما يتلى من الذكر الحكيم ؟
ويح قوم سحرت أعينهم ... هذه الدنيا بمرعاها الوخيم
غرقوا فى لهوها واتخذوا ... من موالاة الهوى أشقى نديم
نكروا القرآن بالذوق الذى ... يؤثر الذر على الدر اليتيم

١. راجع : ظلام من الغرب ، الغزالى – ١١٨ .
٢. انظر : ديوان "خواطر الحياة" – ص ١٥٣ ، والأبيات من الرمل التام .

دعـوا الإلحـاد إصـلاحا وهـل يعرف الإصلاح ذو ذوق سقيم

إن دعاة الإلحاد الذين أنكروا القرآن الكريم ، ونادوا بالإلحاد منهاجًا لإصلاح الحياة ، هم أنفسهم الذين غرقوا فى لهوها ، ونشروا المفاسد والموبقات بين جنباتها ، فكيف يعرف الإصلاح من فسد ذوقه ، وخربت نفسه ؟!

ويوجه الشاعر أنظارهم إلى وجوب قراءة التاريخ ، والنظر فيه ، ومنه سيعلمون أن القرآن الكريم هو أعظم كتاب ، وأجل دستور حكم الحياة ، ولكنهم لفساد أذواقهم يؤثرون الذر على الدر الثمين الغالى ، وكفى بذلك فسادًا وتخلفًا .

وأمام هذه الاعتداءات الكثيرة على مشاعر الإسلام والمسلمين ، وجد – كذلك – من شعراء الأزهر فى هذه المرحلة من يدافع عن الإسلام ، ويحارب دعوات الإلحاد الهدامة ، ويذكر المسلمين بحضارتهم البائدة ، وماضيهم المجيد ، فهذا شاعر الأزهر "أحمد شفيع السيد" يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف عام ١٩٤٤م [1] :

أينسى بنو الإسلام مجدا مؤثلا تضيق به الدنيا على رحبها نشرا
تباريح قوم بالفنون تطاولوا ولم يعلموا أنا لهم مبعث الذكرى
همو قبسوا منا الحضارة غضة وتاهوا علينا من جهالتنا كبرا
ففى كل شرق ينزلون ومغرب معارفنا كانت لليلهمو فجرا
إذا كان للسباق فخر بسبقه فأيد لنا فى كل عارفة فخرا

إن غفلة المسلمين اليوم عن ماضيهم ، وانشغالهم عنه ، جعلتهم مع مرور الأيام ينسون مجدهم الماضى ، الذى حققه أجدادهم من خلال التزامهم بمبادئ الإسلام ،

١. انظر القصيدة فى : أشهر شعراء الأزهر ، د. السيد غزالة – ص ٣٩١ وما بعدها ، والأبيات من الطويل .

وفى نفس الوقت دفعت أعداءهم إلى التطاول والتفاخر عليهم بما يحملون من حضارة حديثة ، هى فى الأصل نبت عربى أصيل انتقل إليهم عن طريق الأندلس ، وعن طريق الحملات الصليبية التى انسابت على البلاد فيما مضى ، فالإسلام إذن هو مبعث النور والضياء لهؤلاء وإنما يرجع تخلفنا وتقهقرنا إلى نوم وكسل خيم على بلادنا قرونًا طويلة بعدت خلالها الشقة بيننا وبين ديننا .

ويرجو الشاعر – بعد ذلك – من ولاة الأمر أن يرعوا دينهم حق الرعاية ، وينصروه ويوقروه ، ففى نصره نصر لهم ، وتثبيت لأقدامهم على طريق الحياة .

يقول :

لعل ولاة الأمر يرعون دينهم فتحلو لنا الآمال والعيش قد مرا
ونصرتنا للدين عز ومنعة نقر بها دنيا وتسمو بنا أخرى

وهكذا يتخذ شعراء الأزهر – فى هذه الفترة – من أنفسهم محامين أمناء – إن صح هذا التعبير – يدافعون عن الإسلام ، ويذودون عن حياضه ، ويردون كل اعتداء عليه إلى نحر قائله ، يدفعهم إلى ذلك ما يكمن فى نفوسهم من مظاهر الحب والغيرة على دينهم ، ثم إن ذلك يعد مظهرًا من مظاهر الولاء لهذا الدين ، الذى كان له الأثر الواضح فى تغيير حياة الناس ، وتوجيهم والأخذ بأيديهم من حياة الفوضى والهمجية إلى الحياة الحرة الكريمة .

٣. مقاومة الاستعمار ومفاسده :

فى النصف الأول من القرن العشرين الميلادى ، كانت مكايد الاستعمار الأوربى للعرب والمسلمين على أشدها ، فهذا الغزو الذى انسابت جيوشه فى بلاد الإسلام ، قد استعمل كل وسائله فى سبيل تثبيت أقدامه ، ورسم سياسة دقيقة بعيدة المدى لتفتيت الكيان الذى سقط فى يده ، وإماتة خصائص الحياة والإباء فيه، فرمى بأوزاره كلها على البلاد ، يحاول محق عروبتها ، وطمس تاريخها ، وتلويث ينابيعها الفكرية والعاطفية ؛ حتى تنشأ الأجيال الحديثة عليلة المزاج ، سقيمة التفكير ، بعيدة عن قيم الحق والخير .

ولم يعدم الاستعمار – وهو فى طريقة لتحقيق هذه الغاية – من أبناء مصر من يقف معه ، ويتبع هواه ، إما عن ذوبان وإعجاب ، وإما عن ضعف وخيانة ، وما الإلحاد والفساد والتخبط الذى منيت به أكثر بلاد الإسلام ، إلا نتيجة حتمية لسياسة الغزو الاستعمارى .

ويلاحظ ، أن خطة الاستعمار الآثم قد شجعت على الفوضى والفساد والتحلل، وأجابت رغبات النفوس ، ويسرت منالها لعامة الناس ، فالزنا لا يحرمه قانون ، وكذلك الخمر ، والعامل البسيط بأجر يومى يمكنه أن يلج صالات الرقص ليخاصر النساء ، ويسمع الموسيقى والغناء ، ويسكر ويضحك دون مبالاة .

ولما كان الاستعمار دائمًا ما يصطدم بتعاليم الإسلام وقوانينه ، وتقاليده الباقية بين أهله وذويه ، فقد عمل على إماته هذا الدين بين ذويه ، وذلك بإبعاد شرائعه عن الساحة ، واحتقار تعاليمه كما قلنا من قبل .

إن العلاج لكل هذه الأمراض : هو أن نقاوم الاستعمار ومفاسده بكل قوة لدينا ، وأن نرد لديننا هيبته فى النفوس ، وننفى عنه ما شانه من فساد فى عهود البلى والإضمحلال ، وبذلك نستطيع أن ننقذ الشرق من ظلمات الغرب ، وننقذ أنفسنا من مهاوى التحلل والعصيان [1] .

وقد قام شعراء الأزهر – فى هذه الفترة – بتقديم العديد من التوجيهات والإشارات التى تنوه بخطر الاستعمار ، وتكشف عن مفاسده فى بلاد الإسلام ، عمله على تفتيت كيان الأمة العربية حتى تصير فى يده أسلابًا تتقاسمها أطماعه[2] .

ومن الشعراء الذين أدلوا بدلوهم فى هذا المضمار ، الصاوى على شعلان ، الذى كشف لنا النقاب عن أساليب الاستعمار الخادعة التى يضلل بها الشعوب من أجل أن يستولى على خيراتها ومواردها .

يقول فى مناسبة عيد من الأعياد[3] :

صوّر الغاصبُ عدلاً ظلمَه ... ما هو التفسير للعدل الجديد ؟!
زاد فى التحرير معنى أنه ... يحكم القيد لتحرير العبيد
قال للطير إذا رمتَ الأمان ... فاتخذ منزل الصياد وكرا
ليس فى الأجواء للطير مكان ... لا ، ولا تأمن فى الصحراء نسرا
حين يلقى الحَبَّ فى أشراكه ... يسقط الطير يهوِى ثملا
ويغيب الرشد عن إدراكه ... ساعة يفقد فيها الأملا

١. راجع : ظلام من الغرب ، الشيخ محمد الغزالى – ١٢ ، ١٥ .
٢. منبر الإسلام ، السنة ٢٩ ، العدد الثامن – ١٣٧ ، والأبيات من الرمل التام .
٣. انظر : أشهر شعراء الأزهر ، د. السيد غزالة – ٣٩٢ ، والأبيات من الطويل .

فالمستعمر يحتل البلاد والديار، ويخادع أهلها الأصليين مفهمًا لهم أنه لا يريد لهم سوى التحرر من قيود التخلف والرجعية، أو أنه يحتل البلاد إلى أن تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها، وهى شعارات كاذبة يرفعها من أجل أن يدعم بها موقفه فى الظاهر، وإن كان فى باطنه الهلاك والدمار والأسر الكامل، واستنزاف خيرات الشعوب.

وينوه الشاعر "أحمد شفيع السيد" إلى بعض مظاهر الفساد التى أشاعها المستعمرون فى البلاد حتى أصبح الحق باطلاً، وتحكم عدو المسلمين فيهم، وفرض عليهم سلطانه وقوانينه يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف [1]:

أيرضيكم ذاك المجون تفجرت ... نوابعه حتى غدا مائجا بحرا
أيرضيكم التشريع من غير ... ومن يرضه حكما فقد رضى
دينكم ... الكفر
ومن ليس يرضاه وأغفى على ... فيا سوء ما يجنى به العار
قذى ... والوزرا
أينسى بنو الإسلام مجدا مؤثلا ... تضيق به الدنيا على رحبها نشرا

لقد انتشر الفساد وتفجرت ينابيعه حتى صارت بحارًا، فهل يرضى ذلك أبناء مصر، وهل يرضون بالحكم بغير قانون الله الخالد؟ إن من يرض بذلك فقد رضى بالكفر، وشاركه فى ذلك من لم يرض عنه وسكت، فلم يبين حقًا من باطل، ولماذا ينسى المسلمون أمجاد دينهم، وهو الذى عم الدنيا بنوره، ونشر الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها؟!

١. أنظر: أشهر شعراء الأزهر، د. السيد غزالة – ٣٩٢، والأبيات من الطويل.

ويكشف الشاعر "محمد الأسمر" عن مظهر آخر من مظاهر الفساد التى أشاعها الاستعمار وهو ظهور روح التفاوت الطبقى ، وظهور العصبية بوجهها الكالح الذميم ، وهى أمور لا يقرها الدين الإسلامى .

يقول فى مناسبة عيد من الأعياد [1] :

أنت يا مصر مسرح للأعاجيب ... وأرض تسود فيها العبيد
وإن شر الكلام وقعا على النفس ... إذا قيل سيد ومسود
والذى يزرع الكروم ويسقيها ... له دون غيره العنقود
هم يقولون حل فى مصر عيد ... ليت شعرى أمأتم أم عيد ؟

إن الأمور إذا تضاربت وانقلبت ، وأصبح كريم الأصل طيب النبت ذليلاً حقيرًا ، وتحول الذليل إلى كبير بيده مقاليد الأمور ، فإن ذلك يؤلم النفس ، ويلبسها أثواب القلق وعدم الرضا بالواقع .

وقد كان المستعمر يفعل ذلك ، كان ينزل الأحرار الشرفاء إلى الهاوية ، ويرفع الصعاليك والجبناء الذين ينقادون له إلى الثريا ، لهذا كانت الصدور مشحونة منه كرهًا وبغضًا ، حتى إنها لتريد أن تمحوه محوًا ، وتجتث جذوره من فوق الأرض .

هذا ، كما وقف شعراء الأزهر يدافعون عن الإسلام ضد الحملات التبشيرية التى جرها الاستعمار على البلاد ، والتى نشطت فى مصر فى الفترة ما بين عامى ١٩٢٥ – ١٩٣٥م ، فقد كان هؤلاء يظنون أنهم يستطيعون تحويل أكثر مسلمى الشرق إلى نصارى ببذل الأموال ، فيحطموا صخرة الإسلام التى عجز أسلافهم عن التأثير فيها ، فلما أخفقوا ، لجأوا إلى وسائل كثيرة تقربهم من أهدافهم ، فنشروا

١. انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر – ص ١٠٠ ، والأبيات من الخفيف .

المشافى ، والمدارس ، ونظموا فيها وسائل التبشير ... ووضعوا خطة لتشكيك المسلمين فى عقائدهم وتشريعاتهم [1] .

وقد وقف شعراء الأزهر ضد هذه الحملات التبشيرية ، وشنعوا بها ، وفضحوا أمرها ، يقول "الصاوى شعلان" فى ذلك [2] :

ألا أبلغ (زويمر) والعذارى ... كأمثال الظبا ، أبت القفارا
ترتل فى كنائسها صلاة ... فتبعث من فؤادك ما توارى
بأن معامل التفتيش ولت ... ودك الله ذروتها اندثارا
وأن الأزهر المعمور دار ... تحطم دونها أسباق دارا
سكرت بخمرة التضليل طيشا ... أجئت تظننا قوما سكارى ؟!
وأنك ملحد ، لا دين تبغى ... ولا أمنا تريد ولا قرارا
ولا وأبيك ما حركت ظفرا ... ولا أحدثت للنفس ادكارا

والشاعر هنا ، يتهكم بالمبشرين فى شخص "ذويمر" ، وهو واحد من أنشط رؤساء الفرق التبشيرية التى غزت الشرق ، ويصور سفه أحلامهم وعجزهم عن أن ينالوا من الإسلام أو المسلمين شيئًا ، فضلاً عن أن خسارة المسيحية كانت فادحة ، وهذا دليل على أن الإسلام فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

ولذلك ، نجد الصاوى شعلان ، يهيب بجموع المسلمين ، ويحاول أن يبعث اليقظة فى نفوسهم ، حتى يتنبهوا إلى حيل الغرب الملحد الذى يريد الفتك بهم ،

١. راجع : العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ، د. سعد الدين الجيزاوى – ١٩٥ .
٢. انظر : مجلة منبر الإسلام ، السنة ٢٩ ، العدد الثامن – ١٣٧ ، والأبيات من الوافر التام .

وتخريب نفوسهم ، ويدعوهم إلى عدم تصديق وعوده البراقه ؛ فكل ما يأتى به كذب وزور ، ونفاق وخداع .

يقول فى قصيدة له ، فى مناسبة عيد من الأعياد [1] :

سدد الرأى وحاذر كيده ... كل ما يأتى به زور ومين
إن سقاك الماء فاترك ورده ... ولتمت ظمآن حرا كالحسين

* * *

لا تصدق منه ما تسمعه ... فهو تخدير مبيد للبشر
واحذر الكحل الذى يصنعه ... إنه الكحل الذى يعمى البصر

* * *

لك قلب ومع القلب ضمير ... أم غدا قلبك للأصنام ديرا
أنت للغاصب محكوم أسير ... تحت حكم الغير لن تصنع خيرا

إن الشاعر هنا ، يقاوم الاستعمار ما وسعته المقاومة ، ويحاول أن يكشف للمصريين عن سوءاته وأساليبه البراقة الخادعة ، ويوضح لهم أن دينهم يدعوهم إلى أن يكونوا أعزة أقوياء ، يأبون الظلم والضيم ، ويأنفون من الاستذلال ، لذا فالواجب عليهم تجاه ما يواجهونه من أساليب الاستعمار واستفزازاته المتكررة لهم ، واعتدائه على كرامتهم ، وسلبه لأرضهم ، أن يشعلوها عليه نارًا حامية ، لا تبقى ولا تذر ، انتقامًا لكرامتهم ، وردًا لحقوقهم المهضومة ، وإعلانًا بأن العزة لله ولرسوله والمؤمنين

يقول الشاعر مترجمًا عن هذه المعانى :

تدعى الحب لخير الأنبياء ... أكذب الأقوال ما لم يبد فعلا
وإذا لم يتبع القول اقتداء ... لم تكن للحب أو للقرب أهلا

١. انظر : منبر الإسلام ، السنة ٢٩ ، العدد الثامن – ١٣٧ ، والأبيات من الرمل التام .

* * *

لـذة الإيمـان عنـد المـؤمنين قـل أن يـدركها عبـد ذليـل
مسـلم مستسـلم للطـامعين آزرى حـاد عـن ديـن الخليـل

* * *

صـلوات الحـر بعـث للشـعور فهـى معـراج إلـى العيش الكـريم
وصلاة المرء فى غير حضور عـادة جوفـاء فـى رسـم قـديم

* * *

إن للأحـرار فـى العيـد السـعيد مظهـر العـزة فـى دنيـا ودين
ولدى الأسرى وفى عيش العبيد يصـبح العيـد هجـوم المـؤمنين

فالإسلام ضد كل وسائل الاستذلال والاسترقاق ، وضد كل ما يخدش كرامة المؤمن ، أو يحط من شأنه ؛ لأن الإيمان قوة خارقة إذا تمكنت فى قلب المؤمن ، استطاع من خلالها أن يصنع المعجزات ، ويحطم القيود والسدود .

ويدعو الشاعر "أحمد شفيع السيد" جموع المسلمين إلى محاربة الاستعمار ومقاومته ، والوقوف فى وجهه عن طريق "إعلان الجهاد" ويشير عليهم أن ذلك ينبغى أن يكون مسبوقًا بإصلاح فساد القلوب ، والتمسك بشرائع الدين الإسلامى الحنيف .

يقول مترجمًا عن هذه التطلعات المشرقة [1] :

يـا بنـى الـدين والحيـاة جهـاد ديـنكم بالجهـاد تـم عـلاؤه
صيحة الحق فى القلوب تدوى فـالإم الضـلال يطغـى بـلاؤه
لـن تـروا كـالنهوض بـالخلق ن عمـادا يعـز مـنكم بنـاؤه
والدي

١. انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثامن سنة ١٩٣٧م – ص (و) ، والأبيات من الخفيف التام .

إن فـي أنفـس الأنـام فسـادا عبثـت فـي صـميمها أدواؤه
فلتكونـوا مـن الفسـاد أسـاة إن ذاك المـريض طـال شـقاوه

فالإسلام يبنى الأمة الإسلامية على منهج قويم ، ونظام دقيق لتقوم على أمانة دين الله فى الأرض ، ومنهجه فى الحياة ، مضافًا إلى ذلك كله : توحيد الكلمة ، واجتماع الشمل ، ووحدة الهدف ، والتقاؤهم تحت راية الكتاب والسنة ، وإذا تحققت للمسلمين هذه الغاية النبيلة ، سادوا وعزوا ، واستطاعوا أن يواجهوا الاستعمار ومفاسده فى كل الأزمان بقوة وجسارة ، واستطاعوا كذلك أن يقتلعوا جذور الغواية والفساد من مجتمعاتهم ، وبذلك يتحقق لهم الأمن والسلام . تلك هى بعض أشعار الأزهريين التى نظموها فى محاربة الاستعمار ومفاسده من خلال شعر المناسبات الدينية فى فترة ما قبل الثورة المباركة .

وقد رأينا كيف تجاوب شعراء الأزهر مع الأحداث السياسية التى مرت بها البلاد وسجلوا فى شعرهم صورًا حية تصف لنا تطور الظروف العامة ، وتبرز آمال الشعب فى أن يحيا حياة كريمة ، ويتخلص من أدران الاحتلال وبشاعته حتى قيض الله لهذه الأمة رجالاً من أبنائها الكرام ، وحقق على أيديهم تلك الآمال العراض فى ذلك اليوم المجيد الذى انبثق ضوءه قويًا وهاجًا فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

٤. الدعوة إلى الوحدة ونبذ الخلاف :

من الأمور الهامة التى امتازت بها الشريعة الإسلامية : أنها تدعو إلى الجماعة والوحدة ، وتحذر من الخلاف والتنافر بين أبناء الأمة ، فالجماعة سمة

عظيمة من سمات الإسلام ، بها تتألف القلوب ، ويتحد الصف ، ويجتمع الشمل ، ويقرب البعيد ، ويتم القضاء على بواعث الشقاق والفرقة ، ومن هنا : يمكن أن يكون المسلمون قوة مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، يحافظون بها على كيان الأمة الإسلامية من كل التيارات المعادية التى تحيط بهم من كل جانب ، وذلك عملاً بما وصاهم الله به ، حيث يقول – تعالى – :

﴿....وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ... ﴾[1]

ولقد سجل التاريخ الإسلامى أن المسلمين الأولين حين آمنوا بسنة الوحدة والجماعة صاروا قوة رهبتهم الأمم من حولهم ، وأخضعوا الرقاب الظالمة الطائشة ، وسادوا العالم فى رقعة كبيرة تمتد من الصين شرقًا إلى الأندلس غربًا .

وقد صور شعراء الأزهر – فى هذه المرحلة – تطلعات النفوس والقلوب إلى الوحدة ، وأمنية الشعب المصرى فى أن يتخلص من كل ما يعرقل مسيرته إلى الوحدة الإسلامية ، مشيدين بالوحدة الإسلامية الكبيرة التى قامت أيام الرسول ﷺ ، والتى كانت سببًا لعزة المسلمين والرهبة منهم ؛ بعثًا للحماس فى النفوس لاستعادة هذه الفترة المشرقة .

يقول الشاعر "إبراهيم بديوى" مترجمًا عن هذه المعانى ، من قصيدة له قالها فى مناسبة الهجرة الشريفة مخاطبًا الرسول ﷺ [2] :

ألقوا إليك أمورهم فحكمتهم ... حكم النبوة عادلاً ومسددًا
آخيت بينهمو وإن بعدت بهم ... أنسابهم فغدا الإخاء مؤيدا

١. سورة آل عمران : من الآية ١٠٣ .
٢. انظر : البديويات ، الجزء الأول – ص ٢٠ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

الـدين جمـع مــا تفـرق منهمـو والـدين قـرب بينهم مـا استبعدا[1]
والـدين إن جمـع النفـوس علــى الهــــــــــــــــــــدى ظلـــت موحـــدة فلـــن تتبـــددا

إن الطابع الذى كان يغلب على المسلمين الأوائل ، والشعور العام عندهم : هو محبة بعضهم بعضًا ، بل لقد زاد هذا الحب ، ونما فى القلوب حتى وصل إلى درجة الإيثار ، وبذلك حقق الإسلام غايته ، وتمكن من بناء دعائم متساوية قائمة على أسس تربط بين القلوب برباط المساواة ،لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى .

وأول شيء تتحقق به الوحدة "هو عقيدة التوحيد" ، وذلك يكون بالتجرد الكامل لله – تعالى – فى كل شيء .

وإن الحج إلى بيت الله الحرام لأداء شعائر الله ، لأكبر مظهر من مظاهر الوحدة فى حياة المسلمين ، ودليل قاطع على أن هذه الأمة أمة مؤمنة تبغى تحقيق ما أراده الله لها من : التآلف ، والمحبة ، والقوة ، لتسير بهذا على طريق الله السوى .

يقول شاعر الأزهر، الصاوى شعلان ، مصورًا بعض مشاهد الوحدة فى حياة المسلمين ، من قصيدة له ، قالها فى مناسبة الحج [2] :

الله أكبـر مـا اطمـأن الركـب فـى تلــك الظـــلال عشـــية وبكـــورا
الله أكبـــر مـــا أهلـــوا بـــالحمى وتبـــادلوا التهليـــل والتكبيـــرا
الله أكبـــر مـــا أطـــافوا خشـــعا لله قلبـــا خالصـــا وضـــميرا
وبحجر إسماعيل صلوا وارتقت صــلواتهم نــورا يصــافح نــورا
الله أكبـــر حـــين حلـــوا زمزمـــا وسقوا شراب المؤمنين طهورا
والعــرف مــن عرفــات يجمــع كالروض يجمع فى رباه زهورا

---

١. ما استبعد ، أى : ما تباعد .
٢. انظر : منبر الإسلام ، السنة (٣٥) ، عدد ذى الحجة عام ١٣٩٧هـ/ ص ١٨٠ وما بعدها ، والأبيات من البسيط التام .

شـــــــــــــــــــــملهم	
ومواكب الأملاك حول دعائهم	عـرش السـماء فـرددت تكبيـرا
حتى استحال نداؤهم من سحره	نغما ليطرب فى الجنان الحورا
أضـحوا جميعـا فـى الأخـوة لا تـــــــــــــــــــــــرى	فـــيهم غنيـــا أو تحـــس فقيـــرا
هـذا هـو التوحيـد وحـد بيـنهم	فغـــدوا ســـواء خادمـــا وأميـــرا

نعم ، إن التوحيد قد وحد بينهم ، وجمع شتات قلوبهم حول فكرة واحدة ، وحول هدف واحد ، وسوى بين الجميع ، وآخى بينهم ، لأجل ذلك سادوًا وعزوًا ، وخضعت لهم الرقاب ، وأذعن لدعوتهم الطغاة فى أزمان مضت ، وليس بمستغرب أن يتحقق لهم ذلك الأمر فى أى زمن شريطة أن يكونوا كما كان السابقون .

ولقد منيت البلاد – فى هذه الفترة (١) – بالاحتلال الذى أخذ – بكل عزم وقوة – يمزق من شمل البلاد والعباد ما تجمع ، حتى تغيرت أحوال المسلمين ، وأصبح بأسهم بينهم شديدًا ، وضعفت قوتهم ، وانكسرت شوكتهم ، وقام الشعراء من الأزهريين بدور لا يجحد ، حيث قاموا بإيقاظ الوعى ، وتنبيه الغافلين إلى ما صار إليه الحال ، حتى يسترجعوا رشدهم .. ويفيقوا من سكرة الغفلة ، ويعملوا على استرجاع صورة الماضى المجيد .

يقول "أحمد شفيع السيد" من قصيدة له ، نظمها فى يوم المولد النبوى الشريف عام ١٩٤٤م صائحًا فى أبناء الأمة العربية والإسلامية (٢) :

ليخلع بنو الإسلام ثوب جمودهم	فـإن لهـم فـى المصـطفى عبـرا

---

١. فترة النصف الأول من القرن العشرين .

٢. القصيدة فى : أشهر شعراء الأزهر ، د. السيد غزالة – ص ٣٩١ ، والأبيات من الطويل .

تتـــــــــــــــــــــــرى

فمـن عجـب : فـرد ينـافح أمـة ... فيملكهـا طوعـا وتعنـو لـه قسـرا
ولكنـــه الإخـــلاص لله وحـــده ... ترى الفرد فيه أمة ترهب الدهرا
لقـد آدنـا مـا بيننـا مـن تخـاذل ... إلى أن غدا معروف دعوتنا نكرا

فالشـاعر هنـا ، يلقـى بـاللوم علـى المسـلمين الـذين ركنـوا إلى النـوم والكسـل والخمول وتركوا الدين مرتعًا خصبًا تكالب عليه أعداؤه ، والمؤلم أن كثيرًا من علماء المسلمين سايروا عامة الناس ، وشاركوهم نومهم وغفلتهم .

وماذا عليهم لو اقتدوا بسيرة رسولهم الأعظم ، فقد كان فردًا واحدًا يدعو أمةً كاملة ، ويجاهد الباطل فيها حتى ملكها ، وليس هذا إلا بسبب الإخلاص لله وحده الذى يجعل الفرد قويًا ، كأنه أمة يخيف الدنيا ، فأين هذا من التخاذل الذى أصاب المسلمين حتى أصبح الحق باطلاً .

ويضرب الشيخ إبراهيم بديوى على نفس هذا الوتر ، فيدعو أبناء الشعب المصرى إلى الاتحاد ، ونبذ الخلافات وعوامل الشقاق ، فى مناسبة المولد النبوى الشريف عام ١٩٤١م ، وكانت الحرب العالمية الثانية [١] ، لا تزال مشبوبة الأوار ، مشتعلة النار ، والخلاف قائم بين أحزاب الأمة .

يقول[٢] :

قـل للـذين تفرقـوا ، وتنـاحروا ... ضموا الصفوف ووحدوا الأفهاما
فـيم التنـاحر والحيـاة حقيـرة ... لا تسـتحق الحـب والإعظامـا
مـن يعشـق الـدنيا تعشـق حيـة ... رقطـاء تقطـر شـرة وسـماما

١. كانت هذه الحرب بين دول المحور والحلفاء ، واستمرت من سنة ١٩٣٩م : ١٩٤٥م .
٢. البديويات ، الجزء الأول – ٣٤ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

رقت ملامسها ، وفى أنيابها شبح المنايا والهلاك أقاما

إنه – هنا – يدعو الشعب المصرى إلى وحدة الصف ، ووحدة الفهم لقضايا البلاد ، ويوضح لهم أن الحياة ذميمة حقيرة لا تستحق منهم أن يعيشوا أشقياء تعساء متناحرين جريًا وراء شهرة زائفة ، أو مكسب مادى أو اجتماعى لا يدوم .

إن المنتظر منهم أن يكونوا يدًا واحدة تدفع العدو الظالم عن بلادهم وأرضهم ، لا أن ينقسموا هم على أنفسهم إلى شيع وأحزاب ؛ لأن ذلك مما يمزق الكيان الواحد للأمة الضائعة ، وما بهذه الروح المتنافرة يقوم صرح أو ترفع له عماد .

وليت هذه الأحزاب كانت تعمل كلها لخدمة الشعب المصرى فى تلك الفترة ، إن الشعب الذى وثق بها لم يكن يسمع منها سوى الخطب الرنانة المضللة ، حتى أصبح هؤلاء أشد على البلاد من الأعداء الغاصبين .

يقول الشاعر "محمد الأسمر" فى مناسبة عيد من الأعياد ، جاء والخلاف مشتد بين هذه الأحزاب ، والقلوب مفعمة بويلاته وآلامه [1] .

يقول الناس حل بمصر عيد أعيد والكنانة فى حداد
ولم أر قبل هذا العيد عيدا أحق من المآتم بالسواد
يعادى بعضنا بعضا كأنا فقدنا فى الكنانة من نعادى !!
أرى الأحزاب قد ضلت وصارت أشد على البلاد من الأعادى
وبتنا كالقطيع دهاه ذئب ففرق شمله فى كل وادى
كفى ما كان من فتن غواش روائح فى الكنانة أو غواد
لقد كدنا نكون وقود نار تطير شواظها ريح العناد

١. ديوان الشاعر محمد الأسمر – ١٠٠ ، والأبيات من الوافر التام .

حصـــدنا بـــذر ذا الخلـــف فينـــا فكـــان حصـــاده شـــر الحصـــاد
فقومـــوا للضـــغائن وانزعوهـــا وســـيروا بـــالبلاد إلـــى الرشـــاد

فالأسمر يشرح – فى نغمة حزينة – ما وصلت إليه أحوال البلاد والعباد من سوء ، حيث تحول البشر إلى ماديين بصورة مخيفة ، وأمست أوطانهم أسلابًا لهم يتقاسمون خيراتها فى شره وجشع .

إن أبناء الشعب المصرى ، إذا لم يتحدوا ويصيروا صفًا واحدًا ، فإنهم سوف يصبحون كاليد الشلاء التى لا تقوى على العمل ، ولا تنفع نفسها ، وسيصبحون أدوات هزيلة تستخدم وتمتهن ، فإذا اجتمعت كلمتهم ، واجتمعت آراؤهم ، كانوا قوة ضاربة ، تدفع الشر عن نفسها ، وتنقذ جزءًا من العالم ، وتصيح بلسان القرآن الكريم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [1]

أما حين تلتقى كلمة الأحزاب المصرية على إنقاذ الدستور فى المؤتمر السياسى الذى عقد برئاسة : "سعد زغلول" فى عام ١٩٢٦م ، فإننا نجد الشاعر الأسمر تهتز مشاعره شأن غيره من أبناء مصر لمخلصين سعادةً بهذا الأمر الجليل ، فيقول فى مناسبة عيد من الأعياد ، داعيًا إلى صفاء النفس ، ونشر المحبة ، والسير بمصالح الشعب إلى الأمام بعيدًا عن متاهات المتنافرين ، وطمع الطامعين [2] :

مرحبـــا بالعيـــد وافـــى مرحبـــا ينشـــر الفرحـــة بـــين الأنفـــس

١. سورة البقرة : من الآية ٢٠٨ .
٢. انظر : الديوان – ص ٥٧٤ ، والأبيات من بحر الرمل التام (فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلاتن) .

جـددوا الأفـراح فيـه والبسـوا ... مـن صـفاء الـروح أبهـى الملبس
واجعلـوه عيـد حـب ووئـام ... واغرسوا الخيرات عاما بعد عام
وانهضـوا فـى ظلهـا نحـو الأمـام ... وارفعـوا رايـتكم بـين الأنـام

وكيف لا ينهض أبناء الأمة الإسلامية ، وأمتهم هى الأمة التى ورثت مسئولية الرسالة بعد موت الرسول ﷺ ، وواجبها أن تقود باسم الله قافلة البشر قيادة تحفظ على العالم الهدى والتقى والعفاف والغنى ، وتقى حضارته الزيغ والأثرة والعدوان والضر.

والإسلام بقدر ما دعا إلى الاتحاد وجمع الكلمة ، وجعل ذلك من عوامل الرقى والتقدم ، بل البقاء واستمرار الوجود ، حذر بنفس القدر من التفرق والشقاق ؛ لأن التفرق والشقاق نوع من العذاب يعدل فى تدميره وإهلاكه للأمم العذاب النازل من السماء ، أو الخسف فى الأرض :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [1]

وحرصًا على الحفاظ على شخصية الأمة الإسلامية ، نجد شاعر الأزهر "عبد الجواد رمضان" يدعو أبناء الأمة العربية إلى جمع ما تفرق من أمرهم ، والسعى نحو وحدة إسلامية فاضلة ، فيقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة الهجرة [2] :

هلمـوا بنـا نجمـع شتـات جهودنـا ... فـإن اجتمـاع الـرأى للضـيم أدفـع
ضـمان علـى العروبـة أن نـرى ... وأعلامنـا فـوق المجـرة ترفـع
دعـا الـدين ، فلتـأت الأمـانى ... ويـا دهـر فلتقبـل ، ويـا عـرب

١. سورة الأنعام : من الآية ٦٥ .
٢. انظـــــر : مجلة الأزهر ، المجلد الثامن ١٩٣٧م – ص ١٢ ، ١٣ ، والأبيات من الطويل .

خواضـــــــــــــــــــعا   فاســـــــــــــــــــمعوا

فداء العلاء المحض كل مواكل   إذا سـيم ورد الـذل لا يتـورع

فالوحدة والتماسك والتآزر، تزرع فى قلوب الأعداء الرهبة منا، وتدفع عنا ظلم المستعمرين وغشمهم، وإذا كان الدين قد دعانا إلى ذلك، فإنه يكون لزامًا علينا أن نستجيب لهذا النداء السماوى الخالد، تحقيقًا لمراد اللّه.

فالوحدة والتماسك والتآزر، تزرع فى قلوب الأعداء الرهبة منا، وتدفع عنا ظلم المستعمرين وغشمهم، وإذا كان الدين قد دعانا إلى ذلك، فإنه يكون لزامًا علينا أن نستجيب لهذا النداء السماوى الخالد، تحقيقًا لمراد اللّه .

وهكذا نجد شعراء الأزهر – فى هذه المرحلة – يبدون متأثرين بأحداث العصر، مستوعبين كل ما دار حولهم من ظروف سياسية، وتغيرات اجتماعية وفكرية، وما كانت تعانى منه الأمة العربية من ضياع وتفكك وتباعد بين أبنائها، وانقسامهم على أنفسهم .

وقد عبر هؤلاء الشعراء عن آمالهم وآمال أمتهم فى عودة روح الوحدة والتآخى بين المصريين، وانتهاء الشقاق والنزاع، وتلك غاية جليلة سخر هؤلاء الشعراء جهودهم للتعبير عنها فى ظروف كانت الحاجة فيها ملحة إلى مثل ما تنادوا به .

٥. الشكوى :

لا تظهر الشكوى فى شعر مرحلة من مراحل الشعر العربى، إلا إذا كانت هذه المرحلة تعانى قلقًا واضطرابًا وعدم استقرار، وتعانى من الضغوط النفسية والمشاكل السياسية، والاجتماعية، والثقافية، ولعل مرحلة النصف الأول من القرن

العشرين كان فيها من المشاكل والقلاقل ما يبرر لنا بروز محور الشكوى بروزًا واضحًا بين غيره من المحاور.

فالاستعمار كان لا يزال جاثمًا فوق صدر الأمة العربية يغتال آمالها فى كل لحظة، وينشر من مفاسده وجراثيمه الفتاكه ما يمزق شمل الأمة، ويذهب بهيبتها فى النفوس كل يوم، ومما زاد الأمور صعوبة وكربًا: انقسام ابناء الأمة العربية على أنفسهم شيعًا وأحزابًا متعارضة متناحرة، حتى بدت صفحة الحياة كئيبة لا تطاق، وكان هذا الوضع من أكبر الدوافع والحوافز التى حدت بشعر هذه المرحلة إلى أن يفيض بدموع الشكوى ومرارة الألم.

فهذا شاعر الأزهر "محمد الخضر حسين" يبدى مرارة الشكوى مما آل إليه حال المسلمين من تفرق وتمزق وتضارب، فيقول من قصيدة له ألقاها أمام المقام النبوى تحية ومناجاة للرسول الكريم ﷺ[1]:

وأروع ماشق الفؤاد بحسرة ... وهاج به الأحزان حتى تقطعا
تخاذل حال المسلمين وما أتى ... من الخطب فى أرجائهم وتجمعا
وما شأننا إلا كعقد تناثرت ... جواهره فى سطح أحدب أنزعا[2]
فهذا يخاذى[3] فى قضايا نزعة ... تخط وراء الحق للناس مرتعا
وهذا يصوغ القول فى قالب ... بجانبه قول الشريعة أوسعا يرى
وهذا ينادى بالضلالة ماسحا ... بصبغة دين كى يغر ويخدعا

١. انظر: ديوان "خواطر الحياة" – ص ٨٨ وما بعدها، والأبيات من الطويل.
٢. يقال: نزع نزعًا، أى انحسر شعره عن جانبى جبهته، فهو أنزع، وهى نزعاء. (الوجيز، ص ٦١٠).
٣. خذأ له خذءًا، وخذوءًا، أى: خضع وانقاد. (الوجيز، ص ١٨٨).

إن ما أصاب المسلمين وانتاب حياتهم فى تلك المرحلة من كدرات ، وما خيم على علاقاتهم من سحب ، لم ينشأ عن عقيدتهم ، ولا عن تعاليم دينهم ، إنما نشأ نتيجة لعدم تحصن المسلمين بمناعة الإيمان ، وغفلتهم عما يدبره له أعداؤهم وخصومهم من غير المسلمين ، مما ساعد إلى حد كبير – على نجاح ألاعيبهم وخططهم للإيقاع بين المسلمين ، والدس لهم ، ليخربوا العالم الإسلامى من داخله ، وليذيق المسلمون بعضهم بأس بعض ، وفى نفس الوقت يكون أعداء الإسلام فى مأمن من أن يتهمهم أحد بعداوتهم للمسلمين ، وبذلك تنشب العداوة بين المسلمين ، وينسون أعداءهم الحقيقيين فى خضم الطيش والتسرع ، بل قد ينقاد بعضهم ويخضع للعدو ، ويصير أداة مستعملة ضد إخوانه المسلمين ، وهذا من شر ما تمنى به البلاد ، وتذهب النفس عليه حسرات .

وأمام هذه الموجة الجارفة من الانقسام الذى أصاب جسد الأمة الإسلامية ، طغت كثير من مظاهر الفساد والانحلال التى أخذت تنخر فى عظام المجتمع ، مما جعل الشاعر "إبراهيم بديوى" يجأر إلى الله بالشكوى من حال الشباب المسلم الذى ترك الأخذ بتعاليم دينه ، وتهافت على بهرج الحضارة الأوربية الخادع ، وقلدها فى كل شيء .

يقول من قصيدة له ، نظمها فى مناسبة الهجرة النبوية الشريفة[1] :

المسلم اليوم استجاب إلى الهوى ... وتتبع الغرب الخليع وقلدا
شاد الرسول له المجادة فانبرى ... ليدك ما أعلى الرسول وشيدا

١. البديويات : الجزء الأول – ص ٢٢ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

سلك الطريق إلى الشقاء معقدا وازور عن نهج الهناء معبدا [1]
ونأى بجانبه عن الخلق القو يم وهام فى وادى الضلال وعربدا
حتى لقد لعب الهوان به وأمسى فى ربع بلاده مستعبدا
ياويح من أمسى ذليلا بعدما قد كان فى الدنيا عزيزا سيدا

إن مما يجز فى النفس ، ويؤلم الوجدان ، أن يتحول بعض أبناء الإسلام إلى معاول هدم قاسية تعصف بمبادئ الإسلام ، وتهدر قيمته ، وتهد كيانه ، لكننا على ثقة بأن شبابنا متى وجد من يأخذ بيده عاد إلى رشده ، وراتمى فى أحضان دينه طارحًا وراء ظهره كل ماسواه .

لذا فالشاعر إبراهيم بديوى ، دائمًا يسلط عليهم إشراقاته ، ويبدى لهم استعطافاته ، كى يعودوا إلى الطريق الحق ، يقول مخاطبًا شباب الإسلام :

يا فتية الإسلام ، هل منكم فتى بنبيه الهادى تأسى واقتدى
يا فتية الإسلام ، هيا استرجعوا عهد السعادة والمجادة والهدى
هذا هو الإسلام دوى صوته فيكم فكونوا اليوم للصوت صدى

ويبدو الخضر حسين متألم الفؤاد ، حين يبدى الشكوى من الأساليب المذمومة التى يتخذها الغرب وسيلة لنشر ظلامه فى الشرق .

يقول من قصيدة له ، نظمها فى مناسبة المولد النبوى الشريف عام ١٣٥٩هـ الموافق ١٩٣٩م[2] :

وإن شؤم النعاق فما أزاغوا به الفتيات أشأم من نعاق[1]

١. ازود عن الشيء ، أى : مال عنه وانحرف .
٢. ديوان خواطر الحياة – ١١٨ وما بعدها ، والأبيات من الوافر التام .

فمن قصص تعاطى قارئيها ... شرابا ديف بالسم الزعاف[2]
ومن صور تثير هوى وتحدو ... نفوسا كالبدور إلى محاق[3]
أما لشباب أحمد أن يذودوا ... خطوبا كالمطاعن فى التراقى[4]
هى الشكوى يرددها لسان ... وما بين الجوانح فى احتراق

إن صياح الغراب إذا كان مذمومًا ، فأشأم منه ما اتخذوه من وسائل للتغرير بالفتيات والإيقاع بهن فى مهاوى التحلل والعصيان والضياع ، فقد دعوا إلى الاختلاط بين الجنسين فى نظام التعليم ، واعتبروا مادون ذلك رجعية لا تتفق مع الرقى الحضارى[5] كما نشروا القصص والروايات والصور التى تثير الغرائز الجنسية لدى الشباب فى مجتمعنا الإسلامى .

لذا فالشاعر يشكو من كل هذه الأوضاع ، وقلبه يقطر ألمًا ، ولا ينسى أن يدعو الشباب المسلم إلى أن يأخذ حذره ، ويتنبه إلى ما يدبره له الغرب الملحد .

وتظهر مسحة الحزن واضحة على الشاعر حينما يشكو إلى الرسول ﷺ تخاذل المسلمين وصمتهم القاتل الذى يلوذون به ، فى حين أن أعداءهم متيقظون يدبرون لهم المكائد ، ويتربصون بهم الدوائر .

يقول[6] :

ولا أدرى أقومى فى سبات ... فأرجو صحوهم أم فى سياق[1]

---

١. النعاق : صياح الغراب ، والعرب تتشائم به .
٢. ديف ، أى : خلط .
٣. المحاق : آخر الشهر القمرى حيث تشتد الظلمة .
٤. ديوان خواطر الحياة – ١١٨ وما بعدها ، والأبيات من الوافر التام .
٥. راجع : ظلام من الغرب ، الغزالى – ١٥٢ .
٦. ديوان خواطر الحياة – ١١٨ .

فأشياع الضلال اليوم صالوا بألسنة وأقلام حماق[٢]
وهم ما بين إلحاد وقاح وإلحاد تقنع بالنفاق[٣]

وفى عام ١٩٤١م تجئ مناسبة مولد الرسول ﷺ ، والعالم أشبه ما يكون ببركان تتفجر جنباته بنيران الحروب والخلافات بين الدول الاستعمارية الكبرى ، وذاق العرب ويلات هذه الحروب وتحملوا مرارتها ، ونالهم منها كثير من التدمير والتخريب بسبب موقعهم الجغرافى ، ومواردهم الاقتصادية ، حتى ضاعت الحقوق، وفقد الناس الأمن والسلام ، يقول "البديوى" مخاطبًا يوم ميلاد الرسول ﷺ، ومصورًا هذه المآسى[٤] :

أقبل بوجهك مشرقا بساما وامح الشرور ، وبدد الآثاما
واخلع على الأيام بهجتها فقد طغت الحروب فأشقت الأياما
وارفع لواء الحق فى دنيا هوت فيها الحقوق وأصبحت أوهاما
دنيا استبد بها القوى وأصبحت فيها الحياة على الفقير حراما

ثم يشير إلى الحروب التى عمت العالم بويلاتها ، فيقول :

نار الحروب بها تطاير شرها ومشى لظاها محرقا هداما
انظر إلى الآفاق تلق طوائرا تلقى الحتوف وتقذف الآلاما
وانظر إلى لجج البحار تجد بها سفنا تغوص وتنفث الألغاما
وانظر إلى الأرضين تلق تتسلق الأسوار والآكاما زواحفا
وتجد مدافع لا يدوى مدفع إلا يدوى الموت منه زؤاما

١. يقال : ساق المريض سياقًا ، أى : شرع فى نزع الروح .
٢. حماق ، جمع : أحمق .
٣. وقاح ، أى وقح .
٤. انظر : البديويات ، الجزء الأول – ص ٣٢ : ٣٤ .

فـى كـل مملكـة تقـوم مجـاذر بشـرية ملئـت دمـا وعظامـا
وبكـل بيـت مـأتم ومناحـة وبكـل دار ثاكـل ويتـامى

ويتوجه الشاعر بعد ذلك بشكواه إلى الرسول ﷺ بقلب مفعم بالحزن والأسى ، وأجنحة كسرتها أهوال الحياة ومتاعبها ، فيقول :

يا مولد الهادى ، استباح الناس فـى دنيـاهم العـدوان والإجرامـا
عـادوا كمـا كـانوا قديما يوم أن الأصـنامـا وأدوا البنـات وعظمـوا
غـدت الحيـاة لئيم بهمـو ، وهـم أمسـوا بهاتيـك الحيـاة لئامـا

فهو يشكو هذا العدوان الذى روع الآمنين ، كما يشكو هذه الجاهلية الحديثة التى فاقت الجاهلية الأولى فى ضراوتها وقسوتها ، وحولت وجه الحياة إلى مستنقع كئيب كله لؤم وشقاء .

وبهـذه الإطلالـة السـريعة نكـون قـد ألمحنـا إلى محـور الشكوى فـى شـعر المناسبات الدينية لدى شعراء الأزهر فى مرحلة النصف الأول من القرن العشرين ، وقد رأينـا لهم نصيبًا ضخمًا فى هذا الجانب ، وكله يفيض بمرارة الشكوى ولذع الأسى ، تـارة ممـا آل إليـه حـال المسلمين مـن تفـرق وتمـزق ، وتـارة مـن مفاسد الاستعمار التى غشيت البلاد والعباد حتى أثرت على كيان الأمة تأثيرًا سلبيًا ، كان لـه الأثـر الكبير فى شعور أبنـاء الأمـة العربيـة بالهزيمـة النفسية ، وناهيك بهزيمة تنبعث من داخل النفس وتجويفات الباطن .

وهى أشعار فى جملتها تشير إلى مواكبة شعراء الأزهر للأحداث والوقائع التى مر بها وطنهم ، وتعبيرهم عن كل ذلك تعبيرًا صادقًا ينقل إلينا الظروف والملابسات كأننا نعيشها ونلمسها .

ولا أريد أن أغفل عن الإشارة إلى أن شعر الشكوى له اتجاهات كثيرة ومتنوعة ، كالشكوى من ألام الحب وما تسببه للإنسان من إرهاق وسهر ، والشكوى من غدر الأصدقاء والزمان ، ولكن هذه الاتجاهات لم تظهر فى شعر المناسبات الدينية ؛ لأن المقام فيها قد لا يتسع لذلك .

٦. النصح والتوجيه :

أدب النصح – عند شعراء الأزهر – لون رفيع من أدب الذات ، يستمدونه من نبع دينى ، وفيض إسلامى ، فهم يقدمون النصح بالحسنى إلى كل من يحتاج إليه ، وقد رأينا كثرة هائلة من أدب النصح لدى الشعراء الأزهريين فى تلك المرحلة ، ولعل السر فى هذه الكثرة يرجع إلى : ما رآه شعراء الأزهر فى هذه المرحلة من الأطماع الاستعمارية الجارفة التى حدقت بالبلاد ، وما اصطحبه هذا الاستعمار معه من مظاهر الفساد والانحلال ، ثم عمله الدائب على تفتيت وحدة الأمة العربية ، وتحطيم كيانها ، وهدم مبادئ الإسلام حتى تكون له الهيمنة والغلبة ، ويتمكن من رفع رايته فوق الجميع ، وأمام هذه الحملات الشرسة لم يكن من المعقول أن يقف الشعراء موقفًا سلبيًا ، ولا سيما شعراء الأزهر ، الذين يحملون بين جوانحهم الغيرة والحمية على الإسلام وأوطان المسلمين ، أينما كانت .

من أجل ذلك قام شعراء الأزهر بالدور المنوط بهم من توجيه الشعوب الوجهة السليمة ، وتقديم النصح لهم ، وساعدهم على ذلك ثقافتهم الدينية الواسعة ، ومعايشتهم للظروف والأحداث عن قرب .

فهذا شاعر الأزهر ، إبراهيم بديوى ، يقف ناصحًا شباب الإسلام بألا ينخدعوا بما يقدمه لهم الغرب من وسائل الهدم وإشاعة الفوضى مستخفيًا فى كل ذلك تحت شعار "التجديد" أو "التطوير" ، ويوجههم إلى الاتجاه نحو دستور الحياة الخالد ، القرآن الكريم الذى هو حبل النجاة .

يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى عام ١٩٤١م[١] :

لا يخدعنكم الجديد وخلبه ... وخذوا سبيلا فى الحياة قواما
واستلهموا القرآن فهو منارة ... تهدى الزمان إذا الزمان تعامى
وقفت على رأس الدهور ... توحى الضياء وترسل
عزيزة ... الإلهاما
لا تسعد الدنيا إذا لم تتخذ ... من هديها الدستور والأحكاما

فالقرآن الكريم هو الآية الخالدة ، التى مرت عليها قرون وأجيال ، وهى لم تزل بعد جديدة ناضرة ترسل الهداية ، وتسعد الخلق على كثرتهم ، لذا كان لزامًا علينا أن نلجأ إلى القرآن فى كل شيء ، تاركين ماعداه من القوانين الوضعية التى صنعها البشر لإبعاد الناس عن منهل القرآن .

١. انظر : البديويات ، الجزء الأول – ص ٣٥ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

وينصح الشاعر "عبد الجواد رمضان" أبناء الشرق الإسلامى ، ويعلمهم أنهم لو فتشوا فى حضارتهم العلمية السالفة ، ونقبوا فى أعمال أجدادهم القدماء ، لوجدوا من العلوم والمعارف وأسباب التطور ما هو أفضل مما يتيه به الغرب الملحد ، ويضع نفسه به فى عداد السابقين .

يقول من قصيدة له فى مناسبة الهجرة الشريفة[1] :

بنى الشرق ، هذا الغرب قد طار مجده ... يطاول زهر النيرات ويفرع
مفاتنه تسبى العقول ، وسحره ... يروق العيون الناظرات فتتبع
وللشرق آداب بناها قديمة ... تسن سبيل المكرمات وتشرع
هى السؤدد الباقى على الدهر فخره ... هى الدر فى اللبات ، بل هى أبدع[2]
فإن لم تصنها عزة عربية ... مضى ببناها سيله المتدفع[3]

إن حضارة المسلمين فى فنون الحياة فى أنحاء العمران لم تجئ إلا بعد تشبعهم بالثقافة الإسلامية وتذوقهم لما فيها من حرية وانطلاق وسماحة ، فلما فسدت هذه الثقافة فى أيديهم ، أو لما عجزوا عن التحليق إليها والإفادة منها ، باءوا بالفشل فى أحوالهم جميعًا .

وتبدو خطا الشاعر الأزهرى ، أحمد شفيع السيد ، واضحة المعالم حين يؤكد كلام سابقه ، مؤكدًا أن الإسلام أساس كل علم ، وأساس كل حضارة ومدينة ،

---

١. انظر : البديويات ، الجزء الأول – ص ٣٥ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .
٢. اللبات : موضع القلادة فى العنق .
٣. الضمير فى "سيله" يعود على "الغرب" .

وينصح قادة الإسلام بأن يتخذوا من أنفسهم جنودًا مخلصة تحتضن تعاليم الإسلام وتعمل على نصرتها وإشاعتها حتى يتحقق لهم نصر الله .

يقول من قصيدة له فى مناسبة الهجرة الشريفة[1] :

ومهما بدا فى الكون نور معارف ... ففى مشرق الإسلام كانت بواكره

فيا قادة الإسلام هذا رسولكم ... تمرس بالأهوال وهى تساوره

فكونوا جنود الدين والعلم تنصروا ... ومن ينصر الإسلام فالله ناصره

فالشاعر هنا يلفت الأنظار إلى أن الرسول ﷺ قد واجه الأهوال والمخاطر ، واستطاع أن يغير المفاهيم والمعتقدات المشوشة ، وأن يصلح النفوس المريضة ، رغم أنه كان فردًا يواجه أمة ، إلا أن نفسه كانت مبنية على الإخلاص والثقة بالله ، فلو سلكنا منهجه لأصبح الحال غير الحال ، لكن ضعفت نفوسنا ، وانخدعنا بزخارف الغرب البراقة .

وينصح "الخضر حسين" الشباب المحمدى ، بالعودة إلى متابع الشريعة الإسلامية ، والوقوف فى وجه الشر ، وعوامل الغواية والفساد ، وعدم الركون إلى ما يقدمه لهم الغرب الملحد من سموم وملهيات راح ضحيتها شباب ناضر كثير .

يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى عام ١٣٥٩هـ [2] :

أما لشباب أحمد أن يذودوا ... خطوبا كالمطاعن فى التراقى[3]

١. انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثالث والعشرين ، سنة ١٩٥١م / "ح" ، والأبيات من الطويل .
٢. ديوان خواطر الحياة / ١١٩ ، والأبيات من الوافر التام .
٣. التراقى ، واحدها : ترقوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيث يترقى النفس .

ويرمـــوا للســـيادة عـــن قســـى ... مـــن الإيمـــان والتقـــوى رشـــاق

كفـى مـا قـد خسـرنا مـن شـباب ... رأوا سـوق الخلاعـة فـى نفـاق
فغادوهـا ، وكيـف تـرى فراشـا ... تهافـت فـى لظـى النـار الحـراق[1]
ومـا للـنفس إن ركبـت هواهـا ... وحطـت فـى المجانـة مـن خـلاق[2]

فالشاعر هنا يثير الحماس فى قلوب الشباب المسلم ، ويهيب به أن ينهض ويواجه تلك المطاعن المسمومة التى توجه إلى دينه فى كل لحظة ، ليس هذا واجب الشباب فحسب ، بل واجب كل المسلمين أن يقفوا ضد هذه الدعوات الباطلة لخطورتها وتأثيرها فى النفوس ، ولا سيما أن كثيرًا من الشباب قد تهافتوا على سبل الإغراء كتهافت الفراش على ضوء النار ، فكان مصيرها الإحراق ، وهذا هو مصير كل نفس ركبت هواها واتبعت شهواتها .

ويأتى شاعر الأزهر الكبير ، محمد الأسمر ، فيرى الأحوال قد ساءت بين أبناء مصر ، وأنهم قد تحولوا إلى شيع وأحزاب متعادية متنافرة ، يحاول كل حزب منها أن يهدم الآخر ، ويقوم هو على أنقاضه ، حتى أصبحوا - بذلك - أشد على البلاد من الأعادى !

ويقدم الشاعر نصيحته إلى أبناء هذا الشعب ، الذى أرهقه الخلاف والعناد ، طالبًا منهم أن يطهروا قلوبهم من الأحقاد ، وأن يعملوا جميعًا لخدمة أهداف الوطن ...

---

١. النـار الحـــراق : هى النار التى لا تبقى شيئا .
٢. حطت فى المجانة : اندفعت فيها . من خلاق : من حظ فى الخير .

يقول فى مناسبة عيد من الأعياد[1] :

يعادى بعضنا بعضا كأنا ... فقدنا فى الكنانة من نعادى
أرى الأحزاب قد ضلت وصارت ... أشد على البلاد من الأعادى
وبتنا كالقطيع دهاه ذئب ... ففرق شمله فى كل وادى
كفى ما كان من فتن غواش ... روائح فى الكنانة أو غوادى
لقد كدنا نكون وقود نار ... تطير شواظها ريح العناد
حصنا بذر هذا الخلف فينا ... فكان حصاده شر الحصاد
فقوموا للضغائن وانزعوها ... وسيروا بالبلاد إلى الرشاد

وإذا كان صادق الحب يملى صادق الكلم ، فإن نصح الشاعر الأسمر لأبناء وطنه الحبيب لم يكن مجرد أقوال تنظم ، أو خواطر تنشد ، وإنما كان إيمانًا يعمر قلبه ، وحبًا يمازج دمه ، وحسا يخالط فكره وكيانه ، وإن كان هذا لا ينفى حب غيره من شعراء الأزهر لوطنهم فى تلك المرحلة .

وإننا لنشعر بكثير من النشوة حين نقرأ تلك الأبيات ؛ لما فيها من دقة وبراعة فى تصوير حالة الخلاف والشقاق التى سيطرت على أبناء مصر حقبة من الزمن ، ولا أكاد أقرأ هذا النص فى وقت من الأوقات ، إلا ورن فى أدنى ووجدانى قول أمير الشعراء فى نفس المعنى[2] :

إلام الخلف بينكم ؟ إلا ما ؟ ... وهذى الضجة الكبرى علاما ؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض ... وتبدون العداوة والخصاما ؟
شببتم بينكم فى القطر نارا ... على محتلة كانت سلاما

١. انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر / ص ١٠٠ ، والأبيات من الوافر التام .
٢. انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر / ص ١٠٠ ، والأبيات من الوافر التام .

ثم أخلص من ذلك إلى زعم أراه وأرجو أن يكون صوابًا ، وهو أن كل الشعراء أزهريين وغير أزهريين – فى تلك الفترة – كانوا يسيرون فى خطوط متشابهة إلى حد كبير ؛ نظرًا للتشابه أو للتماثل بين الظروف المحيطة بهم جميعًا ، وهو ما جعل إنتاجهم الأدبى ذا سمت واحد .

ولعل الشاعر "الصاوى شعلان" هو الذى أعطى النصيحة الخالصة لأبناء الأمة الإسلامية بصورة مباشرة وموجزة ، ووصف لهم العلاج الشافى لأدواء حياتهم فى تلك الفترة .

يقول من قصيدة له فى مناسبة الحج[1] :

إذا أردتم سلام الأرض محمدا وأريحوا هيئة الأمم
فاتبعوا

وهو دواء لا شك فى قدرته على تغيير وجه الحياة ؛ ذلك أن اتباع هدى النبى ﷺ والاعتصام بما يدعو إليه من إخوة ومحبة وتعاون يصنع من المسلمين قوة مرهوبة الجانب ، محترمة الكيان ، أما الانحراف إلى غير ذلك من السبل ، فهو بداية النهاية ، ونذير الزوال .

وينصح كذلك بسداد الرأى ، واليقظة إلى أساليب المستعمر الخادعة التى يلجأ إليها للتغرير بأهل البلاد التى يريد احتلالها ، وعدم تصديقه فيما يأتى به .

يقول فى مناسبة عيد من الأعياد[2] :

سدد الرأى وحاذر كيده كل ما يأتى به زور ومين

١. انظر منبر الإسلام ، السنة (٣٥) ، العدد (١١) – ص ١٣٠ ، والبيت من البسيط التام .
٢. انظر منبر الإسلام : السنة (٢٩) ، العدد (٨) – ص ١٣٧ ، والأبيات من الرمل التام .

إن سـقاك المـاء فـاترك ورده ولتمـت ظمـآن حـرا كالحسـين

لا تصـدق منـه مـا تسـمعه فهـو تخـدير مبيـد للبشـر
واحـذر الكحـل الـذى يصـنعه إنـه لكحـل الـذى يعمـر البصـر

وهكذا رأينا معًا شعراء الأزهر، فى النصف الأول من القرن العشرين يحملون على عواتقهم مهمة كبرى وجليلة، حيث سعوا – من خلال إنتاجهم الشعرى فى المناسبات الدينية المختلفة – إلى إبراز مزايا الإسلام فى قوته وصفائه، والدعوة إلى إتباع تعاليمه التى تعتبر أقوم تعاليم، ثم الدفاع عن مزايا الإسلام، ودحض مفتريات خصومه المعاصرين، ثم الدعوة إلى القوة واليقظة، والوحدة والتماسك، والاستمساك بمكارم الأخلاق، ثم محاربة الانحلال والإلحاد وعوامل الفرقة والشقاق، ثم تقديم النصيحة الخالصة لأبناء الإسلام والعروبة، ودعوتهم إلى التنقيب فى مجدهم السالف الذى كان يحاط بسياج من العزة والمنعة والإباء.

وقد اتخذ شعراء الأزهر من هذه المناسبات الدينية متنفسًا لإبراز ما يؤرق حياتهم، ويقض مضاجعهم، ومنطلقًا لإثبات دور الشعر وأهميته فى الإصلاح والتقويم.